

الحاكم الجشمي الجاحظ أبو جعفر الإسكافي ابن أبي الحديد

عبد الله النظام المعتزلي

بـــــــــــسم الله الرحـــمن الرحـــيم

الحمد لله الواحد الأحد الصمد والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آل بيته الطاهرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا يأمر بالجور ولا يرضاه، ولا يقضي بالفساد, ولا يخلق أفعال العباد المنفرد بالقدم، ومنشيء الخلاق عن العدم، وبارئ النسم، ومولي القِسَم، وموالي النعم بعد النعم، ومزيح العلل قبل النقم القائل في كتابه المحكم {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب : 33] أما بعد، إنطلاقا من هذه الآية الشريفة رأيت أن أجمع ما تيسر من كتب أهل التوحيد والعدل حول موضوع مهم وهو علاقة المعتزلة بآل البيت، يمكن أن أقول علاقة المعتزلة بالهاشميين، والكلام حول أهل البيت والهاشميين، لا يخفى على القارئ أن للمعتزلة علاقة وطيدة بأهل البيت، بل إن مذهب أهل التوحيد والعدل مذهب آل البيت عليهم السلام، فسند المعتزلة اصحّ اسانيد أهل القبلة وهو اوضح من الفلق اذ يتّصل الى واصل وعمرو اتّصالا ظاهرا شاهرا وهما اخذا عن محمد بن علي بن ابي طالب وابنه ابي هاشم عبد اللّه بن محمد، ومحمد هو الذي ربّى واصلا وعلّمه حتى تخرّج واستحكم، ومحمد اخذ عن ابيه علي بن ابي طالب عليهم السّلام عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، (وما ينطق عن الهوى (53 النجم: 3)) قال الحاكم: وبيان اتّصاله بواصل وعمرو انه اخذه القاضي عن ابي عبد اللّه البصري وابو عبد اللّه اخذه عن ابي اسحاق بن عيّاش، وابو اسحاق اخذه عن ابي هاشم وطبقته، وابو هاشم اخذه عن ابيه ابي عليّ الجبّائي، وابو علي اخذه عن ابي يعقوب الشحّام، والشّحام اخذه عن ابي الهذيل، وابو الهذيل اخذه عن عثمان الطويل وطبقته، وعثمان اخذه عن واصل وعمرو، وهما اخذاه عن عبد اللّه بن محمد، وعبد اللّه اخذه عن ابيه محمد بن علي ابن الحنفية، ومحمد اخذه عن ابيه عليّ عليه السّلام، وعليّ عليه السّلام اخذ عنه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم، (وما ينطق عن الهوى (53 النجم: 3))[1]

وعلاقة المعتزلة بآل البيت لم تكن علاقة سند واتفاق في الأصول فحسب، بل كانت علاقة سياسية أيضا علاقة ولاء، فخرجت المعتزلة مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب،

---

[1] طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 7

فيهم بشير الرَّحَّال، فقُتِلوا بين يديه صَبْراً، وذلك أن أصحابه انهزموا، ووقف هو والمعتزلة وبشير الرحال بين يديه، عليه مِدْرَعَهُ صوف، متقلدا سيفا حمائله تسعة، تشبها بعمار بن ياسر رضي الله عنه، فقُتِل ابراهيم وقُتِلوا عن آخرهم، وكان فيمن وقف مع ابراهيم من المعتزلة عمر بن سلمة الهجيمي، وهو على فرس أبلق....، وممن خرج مع ابراهيم من المعتزلة ابراهيم بن نميلة العبشمي وهو خليفته، قال الجاحظ: كان أصحابنا يسمونه الكامل لنبله وشجاعته وسخائه، ولعلمه وبيانه...ومنهم عبد الله بن خالد بن عبيد الله الجدلي وكان صاحب رايته ومنهم المغيرة بن الفرع العبشمي ومنهم محمد بن رباط العقيمي ومن فرسانه عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي ومنهم سفيان العمي ومنهم برد بن لبيد وهارون بن سعد العجلي والهيثم الصهوي وغيرهم كثير كلهم قتلوا بين يدي ابراهيم ومعه، وأنصار ولد إدريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب هم المعتزلة.[2]

وحب آل البيت وموالاتهم عندنا دليل من دلائل صفاء القلب وصحة الدين، والإنحراف الشديد من النفاق والنصب، وعلى هذا اتفق اهل الإسلام عموما، وكان في المعتزلة من كان فيه قليل من الانحراف كشيخنا الأصم، وكان من افصح الناس وافقههم وأورعهم خلا انه كان يخطّئ عليّا عليه السلام في كثير من افعاله ويصوب معاوية في بعض افعاله، قال القاضي: ويجري منه حيف عظيم على امير المؤمنين وكان بعض اصحابه يعتذر له فيقول: بلي بمناظرة هشام ابن الحكم، فنقلوا هذا ونقلوا هذا واللّه اعلم.[3] أما الجاحظ فموقفه ضبابي قليلا، وقد انتقد هذا الموقف الشيخ أمين نايف ذياب بل وأشاره إلى تناقضه، إلا أنني لا أذكر مصدر كلامه هذا، فالجاحظ نراه يتتبع فضائل علي لينقضها في العثمانية ونراه يرفعه مقاما عاليا في كتبه الأخرى ويركد على فضائله، الذي لا شك فيه أن الجاحظ محب لآل البيت موقرا له عاشق للإمام علي إلا أنه يقول بالتفضيل على حسب ترتيب الخلافة أي يفضل أبا بكر وعمر وعثمان عن علي، كغيره من البصريين، والجاحظ صاحب عقلية نقدية فذة، وقد نقض عليه الإسكافي كتاب العثمانية وهذا ما نذكره لاحقا، ومختصر الكلام في الخلافة والتفضيل ما ذكره شيخنا ابن أبي الحديد حيث قال: اتفق شيوخنا كافه رحمهم الله ، المتقدمون منهم والمتاخرون ، والبصريون

---

[2] فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة لأبو القاسم البلخي والقاضي عبد الجبار والحاكم الجشمي ص 79 /81 بتصرف

[3] طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 57/56

والبغداديون ، على ان بيعه ابى بكر الصديق بيعه صحيحه شرعيه ، وانها لم تكن عن نص وانما كانت بالاختيار الذى ثبت بالاجماع ، وبغير الاجماع كونه طريقا إلى الامامه .

واختلفوا في التفضيل ، فقال قدماء البصريين كابى عثمان عمرو بن عبيد ، وابى اسحاق ابراهيم بن سيار النظام ، وابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، وابى معن ثمامه بن اشرس ، وابى محمد هشام بن عمرو الفوطى ، وابى يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ، وجماعه غيرهم : ان ابا بكر افضل من على عليه السلام ، وهؤلاء يجعلون ترتيب الاربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافه .

وقال البغداديون قاطبة ، قدماؤهم ومتاخروهم ، كابى سهل بشر بن المعتمر ، وابى موسى عيسى بن صبيح ، وابى عبد الله جعفر بن مبشر ، وابى جعفر الاسكافي ، وابى الحسين الخياط ، وابى القاسم عبد الله بن محمود البلخى وتلامذته ان عليا عليه السلام افضل من ابى بكر .

وإلى هذا المذهب ذهب من البصريين أبو على محمد بن عبد الوهاب الجبائى اخيرا وكان من قبل من المتوقفين ، كان يميل إلى التفضيل ولا يصرح به ، وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته .

وقال في كثير من تصانيفه : ان صح خبر الطائر فعلى افضل.[4]

أما بخصوص تحديد أهل البيت هناك آيات وأحاديث كثيرة، نذكر الآيات المتعلقة بأهل البيت وتفسير شيوخنا باختصار، قوله تعالى: (قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (73)) الآية.

قال شيخنا الحاكم الجشمي: قال أبو علي: فيدل قوله: "أَهْلَ الْبَيْتِ" على أن امرأة الرجل من أهل بيته، فتدل من هذا الوجه أن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل بيته، خلاف ما تقوله الرافضة.[5]

أما قوله تعالى: (يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33))

---

[4] شرح النهج لابن أبي الحديد ج1 ص 7

[5] التهذيب في التفسير ج5 ص 3537

قال شيخنا الحاكم الجشمي: نزل قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) في النبي - صلى الله عليه وسلم - وعليَ

وفاطمة والحسن والحسين، عن أبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وعائشة، وواثلة

بن الأسقع، وروي ذلك مرفوعًا.

وقيل: نزل في أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة، عن ابن عباس، وعكرمة، ومقاتل. ولما كان فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر بلفظ التذكير، يدل عليه: (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى).

وقيل: نزل فيهم جميعًا.

وقيل: نزل في بني هاشم.

"إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ" قيل: إنما يذهب بأمره ونهيه فيأمر بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وينهى عن سفاسفها، فيزيل عنهن كل خصلة دنيئة، ويطهركم حتى لا تقذفوا بشيء، وقيل: يريد أن يذهب عنكم بألطافه كل فاحشة، واختلفوا في "الرِّجْسَ" قيل: هو الإثم الذي نهى اللَّه عنه النساء، عن مقاتل. وقيل: الشرك، عن مجاهد. وقيل: الشيطان، عن ابن زيد. وقيل: السوء، عن قتادة.

وقيل: كل قبيح في الشرع رجس، وقيل: عقوبة المعاصي؛ لأن الرجس العذاب "أَهْلَ الْبَيتِ" يعني: أهل بيت محمد - صلى الله عليه وسلم - مَنْ تضمه بيته وهم أزواجه وبناته، وقيل: هو النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وقيل: كل من حرم عليه الصدقة من بني هاشم، وقيل: هم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -، والصحيح أن الجميع مراد خصوصًا الأزواج؛ لأن ما قبل الكلام وما بعده في شأنهن.

ومتى قيل: أليس اللَّه تعالى أراد إذهاب الرجس عن كل أحد، فلم خصهم بالذكر؟

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أنه كما يؤمنهم عن الفواحش يؤمنهم عن كثير من المباحات المنفرة

صيانة للرسول.

وثانيها: أن في تطهيرهم منقبة للرسول - صلى الله عليه وسلم - فخصهم بالذكر.

وقيل: لأنه أمرهم به وأراد ذلك منهم وهم فعلوه دون غيرهم.

وقيل: لأن أهل بيت كلهم كذلك لم يوجد إلا أهل بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

ومتى قيل: إذا كانت الآية في الأزواج، فما تأويل ما روي أنه قال في أصحاب الكساء: "هَؤُلَاءِ أهل بيتي"؟

قلنا: الأخبار مختلفة فيه، فالرجوع إلى ظاهر القرآن أولى، على أنه لا يمتنع أن يكون الجميع مراده.

ومتى قيل: إن بعض أزواجه حدثت منها المعاصي بعده؟

قلنا: إنه أراد التطهير لنفي التنفير، وذلك مختص بحال حياته.

ومتى قيل: نحن نرى في أهل بيته من هو مرتكب الكبائر؟

قلنا: قيل: أراد الخمسة: محمدًا صلى اللَّه عليه، وعليا، وفاطمة، والحسن، والحسين، وجميعهم معصومون. وقيل: أراد أن جميعهم لا يعدلون عن الحق، وإجماعهم حجة لا آحادهم.

يدل قوله: (إِنَّمَا يُرِيدُ) الآية، على تنزيه أهل بيته، وقد بينا ما قيل فيه، والزيدية تستدل بذلك على أن إجماع أهل البيت حجة، وربما يشير إليه أبو علي.[6]

وقال الزمخشري في الكشاف: وأَهْلَ الْبَيْتِ نصب على النداء. أو على المدح. وفي هذا دليل بين على أنّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته.[7]

فأغلب المعتزلة تؤكد على أن آل البيت يدخل فيه زوجات النبي أيضا خلافا لما تقوله الرافضة.

وهذا الكتاب عبارة عن تجميعات لآراء المعتزلة من كتبهم، الكتب التي اعتمدنا عليها هي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد والرسالة في نصيحة العامة للحاكم الجشمي ورسائل الجاحظ، والمنتزعات هي: بيان حال الأمة وافتراقها من الرسالة للحاكم، مفاخرة بني أمية وبني هاشم من شرح نهج البلاغة، رسالة النابتة للجاحظ من رسائله، نقض العثمانية منتزع من شرح نهج البلاغة، وبالله نستعين وعليه التكلان.

---

[6] التهذيب في التفسير ج 8 ص 5731/ 5735

[7] الكشاف ج3 ص 538

ترجمة الحاكم الجشمي

هو الإمام الحاكم أبو سعيد المُحَسِّن بن محمد بن كُرّامة الجشمي، ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام -، وجشم: قبيلة من خراسان كما في (طبقات الزيدية) ومن قرى بيهق كما في (معجم البلدان) أما بيهق فقال في (الطبقات): أكبر مدينة في خراسان، وفي (معجم البلدان والأنساب): ناحية كبيرة، وكورة واسعة، كثيرة البلدان والعمران، من نواحي نيسابور.

ولد الحاكم في بلدة جشم في شهر رمضان سنة413هـ ، ونشأ في هذه القرية من ضواحي بيهق بخراسان نشأة كريمة في إقليم يغلب على أهله التشيع، فطلب العلم على مشائخ وعلماء تلك الجهات والنواحي في عصره، فبرع في فنون العلم، وأصبح إماماً وأستاذاً ومرجعاً في أغلب الفنون، وألّف وصنّف واشتهر.

شيوخه:

الشيخ أبو حامد أحمد بن محمد بن إسحاق البخاري النيسابوري المتوفى سنة433هـ ، وهو أول شيوخه، قرأ عليه الكلام وأصول الفقه، واختلف إليه في أول عهده في سن مبكرة، وأكثر من الرواية عنه.

قال الحاكم في (شرح عيون المسائل): ((أول من لقيناه من مشائخ أهل العدل وأخذنا عنه، شيخنا أبو حامد، وكان قرأ على قاضي القضاة فقرأت عليه من لطيف الكلام وجليله، ومن أصول الفقه، وكان يجمع بين كلام المعتزلة، وفقه أبي حنيفة، ورواية الحديث، ومعرفة التفسير والقرآن)).

قال عدنان زرزور صاحب كتاب (الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن): ((ويبدو أنه لم يختلف طيلة حياة شيخه أبي حامد إلى أحد سواه)).

الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله، قال عدنان زرزور: ((نيسابوري الأصل، بيهقي الوطن، متوفى سنة457هـ ، اختلف إليه الحاكم بعد وفاة شيخه أبي حامد، وكان أبو الحسن هذا قرأ على السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني، المتوفى سنة424هـ ، وقرأ عليه الحاكم شيئاً من الكلام وأصول الفقه والتفسير، وكان من المعجبين بفضله وخطابته)).

الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي، قاضي القضاة، المتوفى سنة447هـ ، قال الحاكم: ((واختلفت إليه سنة434هـ))، قال زرزور: ((أي بعد وفاة شيخه أبي حامد، وكأنه اختلف إلى مجلس شيخيه أبي الحسن وأبي محمد في وقت واحد، وكان أبو محمد من أصحاب أبي حنيفة، وكان لا يخالف أهل العدل إلا في الوعيد)). قال الحاكم: ((فقرأت عليه في (أصول محمد بن الحسن)، و(الجامع) و(الزيادات).))

قال زرزور: ((ويبدوا أنه لا نزاع في أنه قرأ على اثنين من الشرفاء هما: محمد بن أحمد بن مهدي الحسني وكان زيدياً ممن أخذ على السيد الإمام أبي طالب أيضاً، وأبو البركات هبة الله بن محمد الحسني الذي كان يميل إلى الزيدية)).

ذكر زرزور من شيوخه: الشيخ أبا الحسن علي بن الحسن، الذي وصفه الحاكم في (شرح العيون) بأنه ((حسنة خراسان، وفرد العصر، وإمام زمانه، والمبرز في العلوم، والمقدم في أصحاب أبي حنيفة، والداعي إلى التوحيد والعدل بالقول والفعل)).

الشيخ أبو حازم سعد بن الحسين.

القاضي أبو عبد الله إسماعيل بن منصور الحرفي.

أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي في نيسابور.

أبو محمد عبد الله بن حامد الأصفهاني.

وفي (طبقات الزيدية) زاد السيد إبراهيم بن القاسم:

أبو الحسين أحمد بن علي بن أحمد قاضي الحرمين.

أبو يعلى الحسين بن محمد الزبيري.

أبو محمد قاضي القضاة عبد الله بن الحسن، سمّع عليه في شوال سنة436هـ .

أبو علي الحسن بن علي الوحشي الحافظ.

أبو الفضل الأمير عبد الله بن أحمد الميكالي.

أبو عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النبلي.

أبو الحسن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي.

أبو الحسن إسماعيل بن صاعد.

أبو عبد الله محمد بن عميرة. وغيرهم.

تلامذته

أما تلامذته فذكر في (الطبقات) منهم:

ولده محمد بن المحسن، وجار الله الزمخشري صاحب (الكشاف) كما ينقل ذلك القاضي الحافظ (أحمد بن سعد الدين المسوري)، وأحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي، وعلي بن زيد البروقني وغيرهم.

عقيدته ومذهبه

كان حنفي المذهب، كما اتفقت المصادر على ذلك، ثم انتقل إلى مذهب الزيدية وإن لم يحدد هذا الإنتقال، ويبدو أن انتقاله بعد موت شيخه أبي حامد المذكور، وشهرته في الزيدية كبيرة، وخلاصة آرائه الكلامية في كتبه المتأخرة تفيد ترجيحه لمذهب الزيدية في العدل والتوحيد والإمامة، وسائر أصولهم، وإن ذهب البعض إلى أنه في أصول الاعتقاد معتزلي، وأنه كان من أشهر رجالات المدرسة الجبائية، فالمعتزلة في الغالب زيدية عدلية في الأصول، إلا في مسألة الإمامة وبعض المسائل.

قال الحاكم في (شرح عيون المسائل): ((ومن أصحابنا البغدادية من يقول نحن زيدية، لأنهم كانوا من أئمة الزيدية، والمبايعين لهم، والمجاهدين تحت رايتهم، ولاختلاطهم قديماً وحديثاً، ولاتفاقهم في المذهب)).

وفي كتابه (التأثير والمؤثر) فصلٌ في الإمامة يذهب فيه إلى أن الإمامة طريقها الاختيار، إذ يقول: ((لا بد للإمامة من طريق، ولم يوجد نص من الله تعالى ولا من رسوله على أحد، فليس النص بطريق لها، وكذلك المعجز ليس من طرق الإمامة، وكذلك الخروج بالسيف أو الدعاء إلى النفس، وكذلك الوراثة، وإنما طريقها الإختيار)).

قال الدكتور أحمد المأخذي محقق (منهاج الوصول إلى معيار العقول) للإمام أحمد بن يحيى المرتضى: ((فالحاكم عندما كتب وجهة نظره هذه في الإمامة إنما كان ما يزال متأثراً بالأراء الاعتزالية فيها، وقد قيل عنه: إنه معتزلي تَزيّد)).

آثاره ومصنفاته

كان الحاكم - رحمه الله - من أئمة ورواد الفكر الإسلامي، رأساً في علم الكلام، صدراً ومرجعاً في علم التفسير، عالماً موسوعياً، ألمّ بكل ثقافة ومقالات وآراء وأفكار ومذاهب الفرق إلى عصره، وصنّف في شتى الفنون من تفسير، وكلام، وحديث، وفقه، وتأريخ وغيره، وعدَّ من أشهر رجالات المدرسة الجبائية المعتزلية بعد القاضي عبد الجبار بن أحمد، وانتهت إليه خلاصة أفكار وآراء المعتزلة خصوصاً في التفسير وعلم الكلام.

ومؤلفاته التي ذكرت كثيرة نذكرها ونبدأ بالموجود الذي وصلنا اليوم:

1- (التهذيب في التفسير) ثمانية مجلدات كبيرة، وبعضها ثلاثة عشر مجلداً، وهو تفسير شهير يعرف بتفسير الحاكم الجشمي، يفسر بالقول، ثم يذكر القراءات، ثم اللغة، ثم الإعراب، ثم المعنى، ثم الأحكام، وكان متأثراً فيه بمذهب الحنفية، وهو مخطوط كامل تحت الطبع، قام بصفه الأستاذ محمد قاسم الهاشمي، وعن مخطوطات هذا التفسير الموجودة بمختلف أجزائها انظر كتابنا (أعلام المؤلفين الزيدية)، وكتابنا (مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن) وتفسير الحاكم هو أشهر كتبه وأهمها، وخلاصة دقيقة لأهم تفاسير المعتزلة في القرنين الثالث والرابع، قدم فيه خلاصة الآراء في هذا العلم، وهو الأصل الذي رجع إليه المفسرون، فإذا كان الزمخشري أبا المفسرين كما يقولون، وكان المفسرون عالة عليه فإن الزمخشري نفسه كان عالةً على كتاب الحاكم هذا، والمقارنة بين (الكشاف) للزمخشري وتفسير الحاكم تثبت ذلك، وللمزيد حول هذا الكتاب وأثره انظر: (الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن) للدكتور عدنان زرزور.

2- (تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين): وهو كتاب اختص بتفسير الآيات التي نزلت في أمير المؤمنين وأهل البيت، مرتبة بحسب ترتيبها في السور كما ذكرنا، وهو موجود مخطوط، منه نسخ في المكتبة الغربية والأوقاف وبعض المكتبات الخاصة في اليمن. انظر عنه المصدر السابق.

3- (التأثير والمؤثر): ويبحث في علل الأشياء من الخلق والإبداع وحدوث الأفعال وفي كيفية الخلق والإيجاد، وهل كان ذلك لعلّةٍ أو لمؤثر، إلى آخر موضوعاته القيِّمة في أصول الدين، ومن فصوله: فصل في التكليف وفي الثواب وفي الوعد والوعيد وفي الأسماء والأحكام وفي أحكام الآخرة وفي الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر وفي الصفات والأحكام، وقد ذكر عدنان زرزور منه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية برقم(2119).

4- (شرح عيون المسائل): وهو من أهم كتبه في علم الكلام، شرح فيه كتابه (عيون المسائل) وجعله في سبعة أقسام:

القسم الأول: في ذكر الفرق الخارجة عن الإسلام.

والثاني: في الكلام في فرق أهل القبلة.

والثالث: في ذكر المعتزلة ورجالهم وأخبارهم، وما أجمعوا عليه من المذهب، وذكر فرقهم.

والرابع: في الكلام على التوحيد.

والخامس: في التعديل والتجويز.

والسادس: في النبوات.

والسابع: في أدلّة الشرع.

5- (تنزيه الأنبياء والأئمة): وموضوعه يظهر من عنوانه، وهنالك نسخة وحيدة فيما أعلم خطت سنة133هـ ضمن مجموع بمكتبة آل الهاشمي بصعدة.

6- (تحكيم العقول في تصحيح الأصول): وهو كتاب معروف مشهور جميل يبدأ به أغلب المبتدئين في الاعتزال.

7- (رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس): ويسمى أيضاً (رسالة أبي مرة إلى إخوانه المجبرة)، من أشهر كتبه في أصول الدين، ومن روائع ما ألّف في هذا الموضوع، ردّ به كل شبه المجبرة والمشبهة والمجسمة بمختلف طوائفهم، وقد كتبه على لسان إبليس، زيادة في السخرية والنقد اللاذع للمخالفين الذين لم تحتمله عقولهم، فكان سبباً في قتل المؤلف واستشهاده كما يذكر المؤرخون.

وقد احتوى على ستة عشر باباً في التوحيد، والتشبيه، والعدل، والقضاء، والقدر، وذكر القدرية، وخلق الأفعال، والإستطاعة، والإرادة، والكراهة، والكلام في القرآن، وفي النبوات، وفي الإمامة، والأمر بالمعروف، وفي الآجال، والأرزاق، وجزاء الأعمال، والوعيد، وذكر السلف، والمقامات، والحكايات، وذكر المذاهب، والقتال. (مطبوع سنة1414هـ /1994م في176صفحة بتحقيق: حسين المدرسي الطباطبائي.

8- (جلاء الأبصار في فنون الأخبار): وهو في الحديث، قسمه إلى ستة وعشرين باباً في الإيمان وفضل الذكر والدعاء والثناء والفزع إلى الله، وفضل العلم، والقرآن وفضله وما يتصل به، وفي فضل أمير المؤمنين وسائر أهل البيت، وفي التوبة، والصلاة، والصيام، والزهد، والحج، والسفر، والجهاد، والخطب، والمواعظ، ومواضيع أخرى.

قال فيه السياغي: ((إنه يتضمن فصولاً ثقافية قيمة تشتمل على تفسير كثير من آيات الله وجمل من الأحاديث ومن أقوال العلماء والزهاد، مع الإستشهاد بأقوال كثير من الأدباء والشعراء، ويتعرض مؤلفه في كل مناسبة لمذهب الإعتزال مثل القدر وخلق القرآن والصفات ونحو ذلك، ويذكر المختار من الآراء بصورة وجيزة)). (انظر عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه).

ومخطوطات هذا الكتاب موجودة في كل من: مكتبة السيد محمد محمد الكبسي، ومكتبة السيد يحيى محمد عباس بصنعاء، ومكتبة السيد مجد الدين المؤيدي، ومكتبة السيد عبد الرحمن شايم، ومكتبة آل الهاشمي، ومكتبة السيد محمد عبد العظيم الهادي، ومكتبة السيد يحيى راوية في صعدة.

9- (السفينة الجامعة لأنواع العلوم): قال الجنداري في وصفها: ليس مثله في كتب الأصحاب، جمع سيرة الأنبياء وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة الصحابة والعترة إلى زمانه، واعتمد عليه كثير من المؤرخين بعده، منه مجلدات مخطوطة في المكتبة الغربية، ومكتبة الأوقاف، ومجلدان مصوران بمكتبة السيد عبد الرحمن شايم والسيد محمد عبد العظيم الهادي بصعدة. والمجلد الثالث والرابع مخطوطات بمكتبة السيد محمد بن يحيى الذاري - رحمه الله -.

10- (النصيحة العامة) أو (الرسالة التامة في النصيحة العامة): بالفارسية، وتوجد ترجمة منها بالعربية لمترجم متأخر عن المؤلف خطية بالأمبروزيانا وصنعاء، وقطعة منها في بيان مذاهب الفاطمية في أسطنبول نشرها محمد تقي دانشي.

ومن الكتب التي ذكرها مترجموه ولم أجد لها نسخاً مخطوطة:

- التفسير المبسوط: قالوا تفسير شهير باللغة الفارسية، ذكره زرزور عن يحيى بن حميد، والصنعاني وابن الحسين وابن القاسم.

- التفسير الموجز: وهو كذلك باللغة الفارسية، قالوا تفسير شهير باللغة الفارسية، ذكره زرزور عن يحيى بن حميد، والصنعاني وابن الحسين وابن القاسم.

- كتاب الإمامة: على مذهب الزيدية الهدوية، ذكره في (المستطاب) وزرزور عن يحيى بن حميد والصنعاني.

- كتاب العقل): ذكره زرزور عن ابن حميد والصنعاني وابن القاسم.

- (كتاب الأسماء والصفات): ذكره في الطبقات لإبراهيم بن القاسم، وذكره زرزور عن ابن حميد والصنعاني ويحيى بن الحسين.

- (الانتصار لسادات المهاجرين والأنصار): ذكر باسم الإنتصار في طبقات الزيدية، وذكره زرزور عن ابن حميد والصنعاني ويحيى بن الحسين.

- (الرسالة الباهرة في الفرقة الخاسرة): ذكره زرزور عن يحيى بن الحسين، قال: يعني الباطنية.

- (الرسالة الغراء): ذكرها في (الطبقات)، وذكرها زرزور عن ابن حميد والصنعاني ويحيى بن الحسين.

- (الحقائق والدقائق): قال في (المستطاب): (الحقائق في الدقائق)، وقال إبراهيم بن القاسم في (الطبقات): (الحقائق والدقائق).

- (المنتخب): قال يحيى بن حميد : وله كتاب في فقه الزيدية، وقال ابن أبي الرجال: ومن كتبه (المنتخب) في فقه الزيدية، وقال يحيى بن الحسين: كتاباً في فقه الهدوية، وذكره ابن القاسم باسم (المنتخب).

- (ترغيب المهتدي وتذكرة المنتهي): وفي (المستطاب): كتاب (ترغيب المستهدي) وكتاب (تذكرة المنتهي) وكأنهما كتابين، وفي (الطبقات): (ترغيب المهتدي وتذكرة المنتهي).

- (الشروط والمحاضرة): ذكره ابن حميد وابن الحسين وابن أبي الرجال، وتفرد باسم (الشروط والمحاضر).

- (بستان الشرف): قال عدنان زرزور: ذكره ابن حميد وابن الحسين.

خاتمة حياته ووفاته

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل قضاها الحاكم في بلده جشم في إقليم خراسان تركها ولم يعد إليها، ومن المحتمل أنه ترك بلده في أواسط القرن الخامس عندما تركها كثير من أعلام المذاهب الأخرى، كالجويني، والقشيري، نتيجة للفتن الشديدة التي حصلت بين الشيعة وأهل السنة هناك إلا أن هؤلاء عادوا وقرّبهم نظام الملك، وبنى لهم المدارس الكثيرة في نيسابور، وصاحبنا الحاكم فضّل البقاء في مكة مجاوراً ومبعتداً عن الفتن، وبخاصة أن مكة كان فيها كثيرٌ من الشرفاء الزيدية، منهم بنو سليمان بن حسن الذين ينتسب إليهم ابن وهاس إمام الزيدية بمكة المتوفى سنة656هـ ، كما ذكر عدنان زرزور عن (العقد الثمين) للفاسي، ويستبعد زرزور أن يقيم الحاكم بمكة كل هذه المدة الطويلة، ثم يموت فيها مقتولاً ويسكت عنه المؤرخون مثل هذا السكوت، ويقول: لعله بقي في بيهق، وقد قتل الحاكم - رحمه الله - بمكة غيلة شهيداً في الثالث من شهر رجب سنة494هـ عن81عاماً، وكان سبب قتله كما ذكرنا رسالته الموسومة برسالة إبليس أو رسالة أبي مرة.

قال يحيى بن حميد في (نزهة الأنظار): ((وكان قتله بسبب ما قاله في العدل والتوحيد وحب أهل البيت، في رسالته الموسومة من أبي مرة إلى إخوانه المجبرة)).

وقال ابن أبي الرجال في (مطلع البدور): ((واتهم بقتله أخواله وجماعة من المجبرة بسبب رسالته المسماة (رسالة الشيخ أبي مرة)).

وقال السيد إبراهيم بن القاسم صاحب (الطبقات): ((وله رسالة تسمى (رسالة الشيخ أبي مرة)، كانت السبب في مقتله)).

ولعلّ هذا العنوان الصارخ للرسالة المذكورة وأسلوبه فيها، وقوة حججه ونقده اللاذع، قد أخرس قول كل خطيب، وأثار كوامن الحقد والغضب عند المجبرة، فثارت ثائرتهم، وطلبوه، واغتالوه في طرف من أطراف مكة، ففاز بالشهادة دفاعاً عن عقيدته.[8]

---

[8] تحكيم العقول في تصحيح الأصول ص20/6

ترجمة ابن أبي الحديد

هو عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، المدائني المعتزلي الشيعي [المقصود بالشيعي ليس أنه إمامي بل يفضل علي عن باقي الصحابة ويتشيع لآل البيت هذا كان مفهوم الشيعي ذلك الوقت] الفقيه الشاعر.

ولد في غزة ذي الحجة سنة 586هـ وكان من أعيان العلماء الأفاضل، بارعا في علم الكلام على مذهب المعتزلة، أديبا جيد النثر والشعر.

اشتغل زمنا في الدواوين السلطانية، وأدرك إغارة المغول على بغداد، ولما هجم عليها هولاكو في 20 من المحرم سنة 656هـ وأسرف في التخريب والتقتيل كان ابن أبي الحديد وأخوه موفق الدين أحمد بن أبي الحديد من الذين نجوا من القتل في دار الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي. وقابل خواجه نصير الدين الطوسي، فوكل الإشراف على خزائن الكتب ببغداد إليه وإلى أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين علي بن أنجب.

ولكن أيامه لم تطل، فقد توفي في جمادى الآخرة سنة 656

مؤلفاته:

أما مؤلفاته فإنها كثيرة تدل على كلفه بالثقافة الشرعية والأدبية، وقد سلم بعضها من عادية الدهر، وطبع.

1- شرح نهج البلاغة.

ألفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمود بن العلقمي. وهو شرح مفصل لخطب ورسائل الإمام علي، يحتوي على مسائل كثيرة لم يحتو عليها كتاب من جنسه.

ولما فرغ من تأليفه بعثه إلى الوزير مع أخيه مؤيد الدين أبي المعالي، فأرسل إليه الوزير مائة دينار، وخلعة سنية، وفرسا.

وقد طبع هذا الشرح.

2- العبقري الحسان.

وهو كتاب فريد الوضع، اختار فيه نصوصا شتى من علم الكلام والتاريخ والشعر، وأودعه قطعا من إنشائه وترسلاته ومنظوماته، وقد ذكره في كتابه الفلك الدائر.

3- الاعتبار على كتاب الذريعة في أصول الشريعة للسيد المرتضى، في ثلاثة مجلدات.

4- شرح المحصل للإمام فخر الدين.

وهو نقض لكتاب المحصل وردود عليه.

5- نقض المحصول في علم الأصول:

وهو رد آخر على الإمام فخر الدين.

6- شرح مشكلات الغرر لأبي الحسن البصري في أصول الكلام.

7- شرح الياقوتة لابن نوبخت في علم الكلام أيضا.

8- الوشاح الذهبي في العلم الأدبي.

9- انتقاد المصفى للغزالي، في أصول الفقه.

10- الحواشي على كتاب المفصل في النحو.

11- الفلك الدائر على المثل السائر.

شعره:

له شعر كثير، أجله وأكثره شهرة القصائد السبع العلويات، نظمها في صباه بالمدائن سنة 611هـ في الإشادة بعلي بن أبي طالب. ويروى أنه نظم فصيح ثعلب في يوم وليلة.

1- من شعره ما كتب به إلى الوزير ابن العلقمي لما بعث إليه مكافأة على تأليف شرح نهج البلاغة:

أيا رب العباد رفعت صنعي...وطلت بمنكبي وبللت ريقي

وزيغ الأشعري كشفت عني ... فلم أسلك ثنيات الطريق

أحب الاعتزال وناصريه ... ذوي الألباب والنظر الدقيق

فأهل العدل والتوحيد أهلي ... نعم ففريقهم أبدا فريقي

وشرح النهج لم أدركه إلا ... بعونك بعد مجهدة وضيق

تمثل إذ بدأت به لعيني ... هناك كذروة الطود السحيق

فتم بحسن عونك وهو أنأى ... من العيوق[9] أو بيض الأنوق[10]

بآل العلقمي ورت زنادي ... وقامت بين أهل الفضل سوقي

فكم ثوب أنيق نلت منهم ... ونلت بهم، وكم طرف عتيق[11]

أدام الله دولتهم وأنحى ... على أعدائهم بالخنفقيق[12]

2- ومن شعره قوله في مناجاة الله وبيان مذهبه في الاعتزال:

وحقك لو أدخلتني النار قلت للـ ... ـذين بها قد كنت ممن يحبه

وأفنيت عمري في دقيق علومه ... وما بغيتي إلا رضاه وقربه

هبوني مسيئا أوضع العلم جهله ... وأربعة دون البرية ذنبه

أما يقتضي شرع التكرم عفوه ... أيحسن أن ينسى هواه وحبه؟

أما رد زيغ ابن الخطيب وشكه ... وتمويهم في الدين إذ عز خطبه؟

أما كان ينوي الحق فيما يقوله ... ألم تنصر التوحيد والعدل كتبه

وغاية صدق العبد أن يعذب الأسمـ ... إذا كان من يهوي عليه يصبه

3- ومن شعره قوله:

لولا ثلاث لم أخف صرعتي ... ليست كما قال فتى العبد

أن أنصر التوحيد والعدل في ... كل مكان باذلا جهدي

وأن أناجي الله مستمتعا ... بخلوة أحلى من الشهد

وأن أتيه كبرا على ... كل لئيم أصعر الخد

لذاك لا أهوى فتاة ولا ... خمرا ولا ذا ميعة نهد[13]

ترجمة أبو جعفر الإسكافي

---

9 العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها.

10 بيض الأنوق: الأنوق: على وزن صبور العقاب والرخمة، وهو أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر أحد؛ لأن أوكارها في القلل الصعبة.

11 الطرف: الفرس الأصيل الكريم.

12 الخنفقيق: السريعة جد من النوق والغزلان وحكاية جري الخيل، وهو مشى فيه اضطراب والمراد الداهية.

13 الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد ص 20/15

ابو جعفر محمد بن عبد اللّه الاسكافي، قال ابن يزداذ: كان عالما فاضلا، وله سبعون كتابا في الكلام، قال ابو القاسم عن ابي الحسين الخيّاط قال: كان الاسكافي خيّاطا وكان عمّه وأمّه يمنعانه من الاختلاف في طلب العلم ويأمرانه بلزوم الكسب فضمّه جعفر بن حرب الى نفسه وكان يبعث الى أمّه كل شهر عشرين درهما حتى بلغ ، قال ابو القاسم عن ابي الحسين الخيّاط: مات الاسكافي في سنة اربعين ومائتين.[14]

قال البلخي: الإسكافي هو أبو جعفر محمد بن عبد الله. وأصله من سمرقند. وكان عجيب الشأن في العلم والذكاء والمعرفة وصيانة النفس ونبل الهمة والنزاهة عن الأدناس. بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد من نظرائه. وكان المعتصم قد أعجب به إعجابا شديدا، فقدمه ووسع عليه. وبلغني أنه كان إذا تكلم أصغي إليه وسكت [جميع] من [كان] في المجلس فلم ينطقوا بحرف، حتى إذا فرغ نظر المعتصم إليهم وقال: من يذهب عن هذا الكلام والبيان؟ وكان يقول له يا محمد: اعرض هذا المذهب على الموالي، فمن أبى منهم فعرفني خبره لأفعل به وأفعل. ومات الإسكافي سنة أربعين، فلما بلغ محمد بن عيسى برغوث موته سجد فمات بعده بستة أشهر. وكان الإسكافي أولا خياطا، وكان أبوه وأمه يمنعانه من الاختلاف في طلب الكلام، ويأمرانه بلزوم الكسب، فضمه جعفر بن حرب إليه، وكان يبعث إلى أمه في كل شهر عشرين درهما بدلا من كسبه. وله من الكتب: كتاب اللطيف، كتاب البدل. كتاب [الرد] على النظام، في أن الطبعين المختلفين يفعل بهما فعلا واحدا. كتاب المقامات في تفضيل علي عليه السلام. كتاب إثبات خلق القرآن، كتاب الرد على المشبهة. كتاب المخلوق على المجبرة. كتاب بيان المشكل على برغوث. كتاب التمويه نقض كتاب حفص. كتاب النقض لكتاب [أبي] الحسين النجار. كتاب الرد على من أنكر خلق القرآن. كتاب الشرح لأقاويل المجبرة. كتاب إبطال قول من قال بتعذيب الأطفال. كتاب جمل قول أهل الحق. كتاب النعيم. كتاب ما اختلف فيه المتكلمون. كتاب [الرد] على [أبي] حسين في الاستطاعة. كتاب فضايل علي عليه السلام. كتاب الأشربة. كتاب العطب. كتاب [الرد] على هشام كتاب نقض كتاب ابن شبيب في الوعيد). وأيضا ذكر ابن النديم في عنوان ابن الإسكافي من المقالة المشار إليها بعد ترجمة الإسكافي بلا فصل ما نصه:. (ابن الإسكافي) هو أبو القاسم جعفر بن

---

14 طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 78

محمد الإسكافي. وكان كاتبا بليغا. ورد إليه المعتصم أحد دواوينه وتجاوز كثيرا من الكتاب. وله من الكتب: كتاب المعيار والموازنة في الإمامة).[15]

ترجمة الجاحظ

عمرو بن بحر الجاحظ، وكنيته ابو عثمان، قال ابو القاسم: وهو كنانيّ من صلبهم، قال المرتضى: بل هو مولّى لهم، اخذ عن النظّام، قال ابن يزداذ: وهو نسيج وحده في جميع العلوم جمع بين علم الكلام

---

[15] المعيار والموازنة ص 4

والاخبار والفتيا والعربية وتأويل القرآن وايّام العرب مع ما فيه من الفصاحة، وله مصنّفات كثيرة نافعة في التوحيد وإثبات النبوّة وفي الامامة «2» وفضائل المعتزلة وغير ذلك

قال ابو علي: ما أحد يزيد على ابي عثمان، وأغري بشيئين: كون المعارف ضرورية والكلام على الرافضة

قال الجاحظ: قلت لأبي يعقوب الخريمي من خلق المعاصي؟ قال: اللّه، قلت: فمن عذّب عليها؟ قال: اللّه، قلت: فلم؟ قال: لا ادري واللّه

وروي انه كان في حداثته مشتغلا بالعلم وأمّه تموّنه فجاءته يوما بطبق عليه كراريس فقال: ما هذا؟ قالت: هذا الذي تجي ء به، فخرج مغتمّا وجلس في الجامع ومويس بن عمران جالس فلما رآه مغتمّا قال له: ما شأنك؟ فحدّثه الحديث، فأدخله المنزل وقرّب إليه الطعام وأعطاه خمسين دينارا، فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره وحمله الحمّالون الى داره فانكرت الامّ ذلك وقالت: من اين لك هذا؟ قال: من الكراريس التي قدّمتها إليّ ثم اتّصل بعد ذلك بابن الزيّات فأقطعه اربع مائة جريب في الاعالي، قال الحاكم: وهي تعرف بالجاحظية الى الآن

قال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: احذر ممّن تأمن فانك حذر ممّن تخاف، قال المبرّد: قال الجاحظ يوما: أ تعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم شعرا (من الطويل):

ولا خير في من لا يوطّن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

قلت: نعم قول كثيّر ومنه اخذ (من الطويل):

فقلت لها يا عزّ كلّ مصيبة ... اذا وطّنت يوما لها النفس ذلّت وكان مختصّا بابن الزيّات منحرفا عن احمد بن ابي داود فلما قتل ابن الزيّات حمل الجاحظ مقيّدا من البصرة وفي عنقه سلسلة وعليه قميص سمل فلما دخل على القاضي احمد بن ابي دواد قال : ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا للصنيعة معدنا للمساوئ وما فتّني باستصلاحي لك ولكن الأيّام لا تصلح منك لفساد طويّتك، ورداءة طبيعتك، وسوء اختيارك، وغالب ضغنك، فقال الجاحظ:

خفّض عليك ايّدك اللّه فو اللّه لأن يكون لك الامر عليّ خير من ان يكون لي عليك، ولأن أسي ء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان أحسن فتسي ء ، ولأن تعفو عنّي في حال قدرتك أجمل بك

من الانتقام منّي، فقال: احمد اللّه ما علمتك الّا كثير تزويق الكلام، فحلّ عنه الغلّ والقيد وأحسن إليه وصدّره في المجلس وقال: هات الآن يا أبا عثمان حديثك.

ومات الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين في ايّام المهتدي.[16]

---

[16] طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص 70/67

في بيان ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الدين

[للشيخ الحاكم الجشمي المعتزلي]

لا شبهة أن في أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الرسول، ومن معه أهل بيته، وأصحابه من المهاجرين والأنصار كانوا على طريقة واحدة لا يختلفون في أمور دياناتهم وللدين جملة وتفصيل وجملته التوحيد والعدل والنبوة والشرائع وأحكام الآخرة، وهذه الجملة عُرفت من دينه ضرورة حتى يعرف المخالف للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، هذه الجملة من دينه كما يعرف الموافق والقرآن ناطق به، وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، وإجماع الأمة عليه ولا خلاف في هذه الجملة بين الأمة وانما الخلاف في تفصيلها.

وما علم من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة في:

التوحيد :هو أن العالم مُحدث مصنوع، ومُحدثه وصانعه هو الله تعالى، وأنه قادر عالم حي سميع بصير غني قديم موجود واحد:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }[الشورى: ١١]، لم يزل ولا يزال ويستحيل عليه خلاف هذه الصفات كالعجز والجهل والموت والعدم لا يشبه شيئاً ولا شبهه شيء، هذا القدر عُرف من دينه صلى اللهعليه وآله وسلم.

فأما العدل :عُرف من دينه صلى الله عليه وآله وسلم: أن الله تعالى محسن حكيم عدل لا يظلم، وقضاؤه حق وإرادته حكمة وأمره حسن، لا يفعل القبيح ولا يعاقب بغير ذنب ولا يأخذ أحداً بذنب غيره كما قال: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الإسراء: ١٥].

فأما النبوات: عُرف من دينة ضرورة: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان رسولاً لله تعالى إلى كافة الإنس والجن، وإنه خاتم النبيين وشريعته لا تُنسخ إلى آخر التكليف، وأن شريعته واجبة على جميع المكلفين من الإنس والجن، وأن القرآن كلام الله وهو هذه السور المعلومة والآيات المشهورة، ليس فيه كذب ولا تلبيس ولا تعمية وكله صدق وحق {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: ٤٢]

واما الشرائع: فمعلوم من شريعة صلى الله عليه وآله وسلم أن الجنة للمطيعين والنار للعاصيين وأنه أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، وفرق بين المطيع والعاصي بالتسمية والحكم، وأن البعث والنشور والحساب والجنة والنار حق، والثواب يكون في الجنة والعقاب يكون في جهنم، ثم قال في الشرائع فرائض كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها والحلال والحرام والمعاصي والعقود كالنكاح والبيع وغير ذلك، بعضها صحيح وبعضها غير صحيح، هذه الجملة معلومة من دينه صلى الله عليه وآله وسلم وكتاب الله ناطق بها، وأجمعت الأمة عليها.

- **ظهور الخلاف وحله:**

ثم ظهر الخلاف في تفاصيل هذه الجملة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، واظهروا المذاهب فنحن ننظر في المذاهب كلها فكل مذهب تفصيله يخالف هذه الجملة يعرف إنه باطل، وكل مذهب يوافق تفصيل هذه الجملة يعرف أنه حق ودين الحق فيه، وما سواه من المذاهب محدث بدعة وضلال قال النبي صلى الله عليه وسلم (كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلاله في النار).

ولا شبهة أن القول بأن العالم محدث وله صانع مع القول بأنه قديم وليس له صانع لا يجوز أن يكونا صواباً وحقاً، ولابد أن يكون الحق في واحد من القولين، ولهذا أصول الدين :التوحيد، والعدل، واحد بين الملائكة، والرسل، والإنس، والجن، لا يتغير ولا ينسخ خلاف الشرائع؛ لأن الشرائع مصالح.

والشرائع والمصالح يجوز أن تتغير بالمكلف والزمان والمكان، فأما التوحيد والعدل لم يزل كان واجباً لا يتغير ابداً، وذكرنا أن الحق ما كان تفصيله يوافق الجملة، والباطل ما كان تفصيله يخالف الجملة، وأنت إذا نظرت في مسألة تعرف بالحقيقة تفصيل مذهب من يوافق الجملة؛ لأن بيان تفصيل جميع المسائل يطول.

ومن قال أن الله ليس كمثله شيء، ثم قال أنه جسم، أو أنه في مكان، أو أنه على العرش، ناقض الجملة.

وفي العدل :إذا قال أن الله تعالى حكيم يفعل الحسن، ثم يقول أنه خلق الكفر، وعبادة الأوثان، وقتل الأنبياء في الكافر ثم يعاقبه عليه، ويأم ره بالصلاة ويمنعه منها بأن لا يخلق فيه قدرة، وينهى عن المعصية ويخلق فيه المعصية فقد ناقض الجملة.

ومن قال أن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة ثم يجوز عليه الكفر، والكذب، ويقول أن القرآن حجة وكلام الله، ثم يقول هذه السور والآيات ليست بكلام الله وليست محدثة، ويقول أن الله صادق، ويجوز عليه خلف الوعيد، هذا متناقض وتفصيله لا يوافق الجملة، ومذهب أهل التوحيد والعدل يوافق تفصيله الجملة فعلمنا أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أمر الله به، نذكره من بعد إن شاء الله.

في بيان المخالفين لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرقهم

ومعلوم أن من كان في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم موافقاً له كانوا على الحق ودين الإسلام، وما كان بينهم اختلاف، ومن خالفه كان خارجاً عن ملته ودينه وهم كانوا فرقاً كثيرة.

وإنه صلى الله عليه وسلم ناظر كل فرقة وأحتج عليهم بأنواع الحجج ودعاهم إلى الإسلام، وأقام بمكة ثلاثة عشر[سنة] وصبر على إيذائهم حتى علم أنهم قد عاندوا ولم يقبلوا الحجة.

ثم من بعد ذلك أمره تعالى بالهجرة والقتال، لذلك كان أكثر أدلة التوحيد والعدل في السور التي نزلت بمكة كسورة الأنعام وغيرها، وأكثر بيان الشريعة في السور التي نزلت بالمدينة كسورة البقرة وأمثالها، وذكر الله الأدلة في التوحيد وما أحال إلى تقليد أحدِ من الأنبياء والأئمة وغيرهم كما قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }الآية[البقرة: ١٦٤]، وقال: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }[الذاريات: ٢١]، وأمرنا بالنظر فقال تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [يونس: ١٠١]، وذم على ترك النظر فقال: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}[يوسف: ١٠٥]، واظهر الحجة على جميع أنواع الكفرة وبين أن جميع ما كانوا عليه كفر وضلالة وأنهم يستحقون العقاب العظيم على ذلك.

فإذا نظرنا فيها عرفنا أن جميع ما عليه الكفرة باطل، ونظرنا في مذاهب أهل القبلة أيضاً علمنا أن الحق في واحد والباقي باطل، أردنا أن نتكلم في هذه الرسالة على بطلان مذاهب الخارجين من الملة ومذهب أهل البدع في الملة على طريق الاختصار، حتى يميز بين الحق من الباطل، لطالب الحق ومن نظر في هذه الرسالة يعرف الحق فيتبعه ويعرف الباطل فيتجنبه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام

لحارث الأعور حين سألة عن الحق والباطل : ((يا حارث أعرف الحق تعرف أهله))، فلا بد للعاقل أن يعرف الحق والباطل حتى يعلم أهل الحق وأهل الباطل.

ومخالفو رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على أنواع شتى، بعضهم كانوا مخالفين في التوحيد وقالوا بقدم العالم وانكروا الصانع وقالوا ما يحدث في العالم يحصل بطبع أو خاصية.

وفرقة قالوا "بيزدان" و "اهرمن" وأرادوا "بيزدان" الله و "باهرمان" الشيطان وهم المجوس، وقالوا بنبوة "زرادشت" و "ماني" وغيرهما.

والفرقة الثالثة :أصحاب المتوسطات كعبدة الأوثان والنيران والنجوم وهم فرقتان، فرقة عبدو الأشياء العلوية كالنجوم وفرقة عبدو الأشياء السفلية كالأصنام والنيران.

والفرقة الرابعة :النصارى ولهم اختلافات كثيرة ومذاهب شتى في التوحيد والتثليث وفي اتحاد عيسى عليه السلام.

والخامسة :اليهود انكروا نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ونبوة كثير من الأنبياء.

والسادسة :الصابئون ولهم مذاهب في النجوم والطبائع يطول ذكرها.

والسابعة :منكروا القيامة ويوم الآخرة.

والثامنة :البراهمة انكروا النبوة أصلاً.

والله تعالى أنزل الأدلة على بطلان قول كل فرقة على النبي صلة الله عليه وآله وسلم، وأمره أن يبين الأدلة كما أنزل في إثبات الصانع وحدث العالم، وإثبات النبوة وفي إبطال عبادة الأصنام، وصحة القيامة والبعث والنشور بعد الموت وذكر جميعها يطول الكتاب، وإذا أوردنا المسائل في باب التوحيد وأصول الدين وذكرنا الأدلة بطل جميع هذه المقالات، ولا خلاف بين المسلمين في بطلان هذه المقالات وتكفير القائلين بها وإن كانت أقوالهم مختلفة ومللهم متفرقة.

وإذا ثبت بطلان هذه الجملة علمنا أن الإسلام كان في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد وأن الخلاف بين أهل ملته حدث بعده كما نذكره في هذه الرسالة.

في بيان كيفية الخلاف الذي ظهر في الأمة وبيان ظهور كل فرقة

إذا عُلم أن مذهب المسلمين في أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان واحداً، وهذه المذاهب حدثت من بعده، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)، والخلاف الذي وقع في مسائل الاجتهاد بين الصحابة والتابعين لا يدخل في هذا؛ لأن كلا القولين يكونا صوابا ولهذا لم يتبرأ الصحابة بهذا الخلاف بعضهم من بعض ولم يخطئ بعضهم بعضاً، ويرجعون أيضاً من قول إلى قول حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: (اجتمع رأيي، ورأي عمر، ورأي آخرين من الصحابة، في أمهات الأولاد ألا يبعن ثم رأيت بيعهن) وقال عمر بحضرة جماعة من الصحابة في مسألة المشتركة (أفتي على قولين ذاك على ما قضينا، وهذا على ما قضينا) ولم ينكر عليه أحد، وعن ابن مسعود رضي الله عنه في مسألة المفوضة: (اجتهد فيه برأيي) وأمثال ذلك كن كما قال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اجتهد رأيي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الحمد لله الذي وفق رسول رسوله).

وأما في مسائل الأصول ظهر في أيام متفرقة وأول خلاف حدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان خلاف يوم السقيفة، لأن الأنصار قالوا ينبغي أن يكون الإمام منا، وأرادوا أن يبايعوا سعد بن عبادة، ولما صار الأمر إلى المنازعة قالوا المهاجرين يكن منا أمير ومنكم أمير، فظهر منها ثلاثة أقوال :قوم من المهاجرين ينبغي أن يكون الإمام أبا بكر، وقوم من الأنصار ينبغي أن يكون الإمام سعد، وجماعة كانوا مع أمير المؤمنين قالوا هو أولى بالإمامة كعباس والزبير وطلحة وسلمان وأبي ذر وعمار ومقداد وغيرهم حتى قال العباس رضي الله عنه:

ماكنت احسب ان الأمر منحرف   عن هاشم ثم منها عن أبي حسن

أليس أول من صلى لقبلتكم   وأعلم الناس بالأثار والسنن

فما الذي صدكم عنه لنعرفه   ها ان بيعتكم من أول الفتن

([1]) وقال بهذا الشيخ أبو القاسم البلخي، وذكر الشيخ أبو علي الجبائي أن أول خلاف حدث هو اختلافهم في أمر عثمان في آخر أيامه، وقال القاضي عبدالجبار أن سبب عدم ذكر الشيخ أبو علي للسقيفة كأول خلاف أنه لم يستقر فيه الخلاف وزال عن قرب .فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص 142

وظهر من هذا أربع مسائل:

إحداهما :من الإمام؟

وثانيهما :اين معدن الإمامة؟

وثالثهما :ما طريق الإمامة؟

ورابعهما :هل يجوز إمامان معاً أم لا ؟

فقال الأنصار على ثلاثة أوجه:

إحداهما قالوا :ينبغي أن يكون سعد هو الإمام.

وثانيهما :جوزوا الإمام من غير قريش.

وثالثهما :رأوا البيعة طريق الإمامة.

وخالفوا في هذه الأقوال جماعة من المهاجرين رأوا الإمامة لأبي بكر، ورأوا أيضاً طريق الإمامة البيعة وجوزوا الإمامة في جميع بطون قريش.

والقول الثالث قالوا :طريق الإمامة النص وقالوا أن الإمام هو أمير المؤمنين بنص الله تعالى ونص رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا معدن الإمامة أولاد فاطمة عليها السلام، ولا تجوز في غيرهم.

ومن قال بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام مع أن المهاجرين كلهم خالفوا الأنصار وقالوا لا يجوز أن يكون إمامان مع اً، وبقي الخلاف في هذه المسائل الأربع بين الأمة.

والخلاف الثاني كان حدث فدك لأن فاطمة عليها السلام أدعت هبة أو ميراثاً وروى قوم من الصحابة في الميراث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)، وفي الهدية طلبوا شاهدين وما ضرهم لو قبلوا قولها كما قيل في دعواها:

وَمَا ضَرّهُم لَوْ صَدَّقُوها بِمَا ادَّعَتْ ... وَمَاذَا عَلَيْهِم لَوْ أَطَابُوا جَنَانَهَا

وقَدْ عَلِمُوهَا بِضْعَة مِنْ رَسُولِهِمْ ... فَلِمْ طَلَبُوا فِيْمَا ادَّعَتْه بيَانهَا

وهذا الخلاف أيضاً باقٍ في الأمة.

فأما خلاف المرتدين كان خلافاً مع الكفار لا مع المسلمين وهم كانوا فرقاً:

فرقة :أنكروا جميع الإسلام.

وفرقة قالوا :نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة.

وفرقة قالوا :نقر بالإسلام ولكن لا نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة.

ولا خلاف أن من كان على هذه الجملة مرتد وتجب محاربتهم، واتفقت الصحابة على قتالهم وأمير المؤمنين أمر بقتالهم، وكانت أم محمد بن الحنفية من غنيمة المرتدين وقعت في سهم أمير المؤمنين وأولد منها محمداً.

فأما ما قاله الروافض أن العرب لم ترتد ولكن قالوا لا ترضى بإمامة أبي بكر؛ لأن الإمام هو أمير المؤمنين عليه السلام لذلك قاتلهم أبو بكر، فهو باطل وكذب لأن الأخبار تواترت على ردتهم وما قال هذا أحد سواهم، ولو كان كذلك لما أمر أمير المؤمنين بقتالهم ولم يوافق الصحابة في قتالهم، ولما أتى أبو سفيان إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال :يا أبا الحسن اترضى أن يلي عليكم أحد من بني تميم !أمدد يدك حتى أبايعك وأملاء المدينة خيلاً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (طال ما غششت الإسلام)،وقال: (لا أزال اصبر إذا كان التقصير في حقي)

والخلاف الآخر :حديث الشورى بعد عمر لأنه جعل الأمة شورى بين ستة أنفس علي عليه السلام. وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، فقال جماعة أمير المؤمنين أولى، وجماعة مالوا إلى عثمان وبايعوه وتركوا علياً عليه السلام وهذا الخلاف أيضاً باق في الأمة.

والخلاف الآخر :في عثمان بعد إحداثه فرقة قالوا بتخطئته وتضليله، وفرقة قالوا بتصويبه وتضليل مخالفيه، وتوقف جماعة فيه وهذه الاختلافات باقية بعد.

والخلاف الآخر :خلاف طلحة والزبير وعائشة فلما قُتل طلحة والزبير انهزم العسكر، ورجعت عائشة وندمت وتابت، انقطع الخلاف إلا شرذمة قليلة قالوا بتصويبهم ولا اعتبار بقولهم.

والخلاف الآخر :مخالفة معاوية وأهل الشام لأمير المؤمنين عليه السلام وما أصاب من خلاف أحد ضرر وخلل في الإسلام أعظم من خلاف معاوية لعنه الله؛ لأنه ظهر بسبب معاوية الظلم والفتنة والضلالة فبقي أثرها إلى يوم القيامة، وجماعة المسلمين أجمعوا على إمامة أمير المؤمنين وأنكر جماعة وقالوا بعد ذلك بإمامة معاوية، وطائفة قالوا بإمامتهما وجماعة توقفوا وهذا الخلاف باق بعد.

والعجب من قوم عرفوا أمير المؤمنين عليه السلام وأحواله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعوا الأخبار الظاهرة التي جاءت في ثنائه وأمره ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أنك ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)، وكما قال لعلي والحسن والحسين: (إني سلم لمن سالمكم، وحرب لمن حاربكم) وقال في قت خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسله، كرار غير فرار يفتح الله على يديه)، وقال أيضاً في حديث براءة لما دفعها إلى أبي بكر ثم أخذها منه وقال: (لا يبلغها إلا أنا أو أحد مني) وقال في حديث سد الأبواب التي كانت في المسجد من الدور: (سدوا هذه الأبواب إلا باب علي) فقال أبو بكر :دع لي كوه يا رسول الله أنظر فيها .فقال: (لا ولا رأس إبرة) وخرج حمزة يبكي وقال :أخرجت عمك واسكنت ابن عمك .فقال :(ما أنا اخرجتك واسكنت ابن عمي، ولكن الله أخرجك واسكنه ... ثم قال :إن الله أمر موسى بن عمران ان يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا هو وهارون وأبناء هارون شبر وشبير، وأمرني أن ابني مسجداً لا يسكنه إلا أنا وعلي وأبناء علي الحسن والحسين، سدوا هذه الأبواب إلا باب علي فإنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وقال لعلي: (أنت أخي في الدنيا والأخرة) والأخر حديث المباهلة: خرج لعلي وفاطمة والحسن والحسين دون غيرهم ، والأخر حديث غدير خم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) والأخر حديث تبوك :خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حزب تبوك فأستخلف علياً عليه السلام على المدينة، فقال المنافقون شنى ابن عمه ولهذا تركه، فخرج علي عليه السلام خلفه فلما وصله وشكى عن قول المنافقين، قال صلى الله عليه وسلم: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وفي خبر الطير قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاءه علي وأكل معه) ولما نزلت آية التطهير قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} [الأحزاب: ٣٣]، دعا علياً وفاطمة والحسن

والحسين عليهم السلام وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، وأيضاً قال صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت وصيي وخليفتي في أهل بيتي)، وأمثال ذلك كثيرة لا يمكن ذكرها في هذا الموضع، والآيات التي نزلت في فضائل علي عليه السلام كثيرة وذكرناها في كتاب (تنبيه الغافلين) ومقاماته في الحر وب وشجاعته وزهدة وعصمته وعلمه بالأصول والفروع، واختصاصه بالنبي صلى الله عليه وسلم أظهر مما يحتاج فيه إلى البيان ومع هذه الخصال كيف يقاتلونه ولم يكن في أمة الرسول صلى الله عليه وسلم أحد مثله في جميع خصال الفضل وكذلك في جميع الأمم من لدن آدم إلى يوم القيامة.

مع هذا إذا ذكروه لا يستحيون من الله تعالى ولا يخافون من عذابه وذكروا معاوية في مقابلته وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري وأمثالهم، ولو قوبل جميع من في العالم بعد الأنبياء عليهم السلام مع علي لرجح عليهم، ولكن لا غاية للعباد وهذا الكلام في هذا الموضوع كان عارضاً اختصرنا عليه وإلا تفصيله مما لا يمكن احصاءه وعده وإن صنف فيه الكتب في العمر، كما قال الشاعر بالفارسية:

تعمر ما أب وا كفيره   مذ نخش اكرد
و بـــــاقي كـــــرد   د لـــــشـــــاعر

والمعنى : يمكن ذكر جميع مدحه لو نفد البحر بأن تعرف منه الشاعر، وهذا لا يمكن فكذلك لا يمكن عد فضائل علي ومدائحه عليه السلام.

والخلاف الآخر: ظهر خلاف الخوارج يوم الحكمين وانكروا الحكمين وقالوا: لا حكم إلا لله، وليس لأحد أن يحكم فكث رت فرقهم بعد ذلك.

والخلاف الآخر: خلاف الغُلاة والمفوضة ظهر في أيام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو عليه السلام أنكر عليهم وزجرهم، فلم ينزجروا فقاتلهم وأحرقهم وبقي ذلك الخلاف وصاروا فرقاً.

والخلاف الآخر :ظهر في أيام الحسن عليه السلام لأنه اضطر إلى الصلح مع معاوية، وجماعة المسلمين قالوا بإمامة الحسن عليه السلام قبل الصلح وبعد الصلح، وفرقة قالوا بإمامة معاوية وأنكروا إمامة الحسن عليه السلام وفضل الحسن والأخبار التي رويت في فضله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(أن ابني هذا سيد))، ومثل قوله: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، ونص أخبار كثيرة في فضلهما مع ما اخفوا وكتموا منها كثيراً، ثم يقابل مثله بساعٍ لا دين له مع ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (معاوية في تابوت من نار)، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا رأيتم معاوية على منبري فأقتلوه) وفي مواضع لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يقع في مقابلته مثل الحسن صلوات الله عليه، ولكن علم الحسن عليه السلام أن قومه بعضهم مال إلى معاوية وكان بعضهم خوارج، وهكذا يكون من جهة الهوى والطمع يميل بميل الناس إلى الظلمة وأبناء الدنيا، فلهذا رأى الحسن عليه السلام المصلحة أن يعتزل عن مثل هذا الخلق فصالح وما انعزل عن إمامته، وما صار معاوية إماماً بل إنما فعل الحسن مع معاوية مثل فعل جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبو سفيان من المصالحة فما أنعزل عن الرسالة فكذلك ما خرج الحسن عليه السلام من الإمامة.

والخلاف الآخر :كان في أيام الحسين عليه السلام فإن جميع المسلمين قالوا بإمامته وأكثر الناس بغوا عليه وقالوا بإمامة يزيد لعنه الله، وقتلوه مع ما سمعوا قول الله كأن الله تعالى أمر بعداوتهم لا بمودتهم ولما علم سيد النبيين جفاء الأمة وأفعالها القبيحة بأعز أولاده ولم يزل يوصي بحبهم وبالتمسك بهم قال: (إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا :كتاب الله، وعترتي اهل بيتي الله) وبقوله: (الحسن والحسين بمنزلة السمع والبصر) وبقوله:(الحسن والحسين ريحاني في الدنيا)، وروي أن الحسين عليه السلام كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا أراد أن يخرج إلى بيت فاطمة عليها السلام ومطرت السماء، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمسكت حتى وصل الحسين إلى عند فاطمة عليها السلام، وما أراد أن يقع عليه قطر المطر، وكيف حاله قبله لو رآه وقد وقعت عليه السهام، وطعن بالرماح، وقطع بالسيوف إرباً إرباً، وركضت عليه الدواب حتى كسرت عظامه، فويل للكافرين من عذاب شديد يوم يكون خصمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة عليهم السلام، وفي خبر طويل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: :((اللهم من أبكى حسيناً فلا تغفر له) وقد وردت أخبار كثيرة في مدحهم وذم أعدائهم، وذكر جميعها لا يحتمل هذا

الوضع ومن يقول بإمامة يزيد لعنه الله تعالى ويقول إنه كان على الحق فيكون قرينه في النار كما هامان قرين فرعون في جهنم كما قال الله تعالى.

والخلاف الآخر :القول بالجبر ظهر في أيام معاوية وبني أمية، ثم زاد في كل وقت حتى جوزوا تكليف ما لا يطاق وقالوا بخلق أفعال العباد، وقالوا الكفر، والعناد، والظلم، وجميع المعاصي بقضاء الله وقدره.

والخلاف الآخر :القول بالتشبيه كذلك أيضاً ظهر في أيامهم وصارت مذاهباً وفرقاً.

والخلاف الآخر: ظهر في القرآن [إنكار حدوثه] لأن المسلمين في الصدر الأول قالوا القرآن هو هذه السور والآيات وإنه محدث وأنه كلام الله، وقالت الكفار انه كلام محمد ثم ظهر بعده الأقاويل الباطلة في القرآن.

ثم ظهر القول بالإرجاء وخالفوا في الأسماء والأحكام حتى صاروا فرقاً.

والخلاف الآخر: خلاف القرامطة و وضع مذهبهم في مائتين وستين من الهجرة.

والخلاف الآخر: خلاف الروافض ظهر في أيام المأمون أظهره هشام بن الحكم [مع التجسيم].

بعد ذلك تفرقوا حتى صاروا فرقاً كثيرة وبقيت فرقة واحدة على ما كان عليه النبي وأهل بيته وأصحابه، ونحن نذكر الآن المذاهب المحدثة وتعدادها وكل مذهب على سبيل الإيجاز والاختصار ثم نبين مذهب أهل البيت ونذكر أئمتهم بإذن الله تعالى .

❖ في بيان مذهب الخوارج ورجالهم ومبدأ ظهورهم

يقال لهم: "الشُراة" و "الخوارج" و "الحرورية" و "المحكمة" و "المارقة" لأخبار رويت فيهم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) من خبر طويل.

وابتدأ هذا المذهب ظهر في صفين لأن أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية حكما حتى نظ را في ذلك الأمر وكان أمير المؤمنين كالمكره في أمر الحكمين ولكن قومه حملوا عليه فخاف الفتنه أن لم يفعل وإلا كان الظفر له.

ومذهبهم تكفير علي عليه السلام وتكفير عثمان، وتكفير كل من ارتكب كبيرة ، ويرون الخروج على مخالفهم، وانكار الحكمين.

فأما أصول مذهبهم فخمس فرق فرقه يقال لهم "الأزارقة" منسوبه إلى نافع بن الأزرق، وفرقة يقال لهم "الإباضية" منسوبه إلى يحيى بن عبد الله الإباضي، و"الصفرية" منسوبه إلى زياد بن الأصفر، و"البهيسية" منسوبه إلى بيهس، و"النجدات" منسوبه إلى نجدة بن عامر الحروري، ثم لهم شعب وفرق كثيرة.

وأول من وضع هذا كان عبد لله بن الكواء وعبد لله بن وهب، ثم زادوا وكثروا وناظرهم أمير المؤمنين واحتج عليهم فرجع قوم منهم وقتل الباقيين إلا شرذمة تفرقوا ولهم كتب ورجال وخرجوا إلى الخرجة في كل موضع، وآخر خروجهم خروج أبو حمزة الشاري خرج بخراسان فقتل وانقطعت رايتهم، وكانوا قد بايعوا في كل زمان أحدهم وسموه بأمير المؤمنين مثل القطري بن الفجاءة المازني، وأمثاله في كل هذا العصر، ومنهم متفرقون ليس لهم إمام ولا عالم وهكذا تكون البدعة تستوقد وتُضيء ولكن بالعجلة تنطفي.

❖ في بيان مذهب الغلاة والمفوضة

هم ليسوا من أهل الإسلام ولكن لإقرارهم بالإسلام عددناهم في فرق المسلمين وهم على ثلاث فرق:

- فرقة منهم قالوا أن الله تعالى ظهر على صورته التي كان عليها لم يزل.
- وفرقة قالوا: أن الله تعالى فوض أمر العالم إلى الأئمة إلى علي والحسن والحسين وباقي الأئمة بعدهم وهم يخلقون ويرزقون ويميتون ويبعث ون وينشرون ويعاقبون، ثم اختلفوا:
- فقالت فرقة منهم: إن الله احتجب بالأئمة
- وقالت فرقة اتحد بالأئمة.
- وفرقة قالوا: ظهر عليهم وقالوا أول من ظهر عليه آدم، ثم الرسل إلى أمير المؤمنين والأئمة أولادة.
- وقال قوم لعلي عليه السلام: هو الله والأئمة من بعده.
- وقال قوم لعلي عليه السلام هو الله الذي ظهر في آدم، وفي الرسل والأئمة ظهر في كل وقت ومحمداً رسولاً لعلي إلى الخلق، ومذهبهم في علي كان يقرب إلى مذهب النصارى في المسيح في اتحاده بالله قالوا إن الإله اتحد بعلي، ثم قالوا أمور الإلهية فعليهما.

- وقالت فرقة منهم :أفعال البشر مثل الأكل والشرب هي تخييل وليست حقيقة، ولهم خرافات كثيرة، وهؤلاء الذين قالوا بأن علياً هو الله.

-وفرقة منهم قالوا: ليس بإله ولكن رسول الله غلط جبريل فجاء إلى محمد ويقال لهم الغرابية وأكثر الغلاة يقولون بالتناسخ.

❖ في بيان مذهب الباطنية

لمذهبهم اقبان ولذلك لا يكاد يعرف حقيقة مذهبهم:

أحدها: أنهم يسترونه ولم يظهروه.

وأخرى: أنهم يحدثون في كل زمان مذهباً آخر.

وليس غرضهم الدين وإنما غرضهم الإلحاد وهدم الإسلام وقد صُنف في أخبارهم ومذهبهم كتب جمة.

وابتدأ وضع هذا المذهب سنة خمسين ومئتين من الهجرة وضعه قوم في قلوبهم بغض للإسلام من المجوس وبثوا الدعاة إلى الأطراف ليدعوا الناس إلى هذا المذهب لعل المملكة ترجع إليهم ويبطل دين النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَه } [التوبة: ٣٢]، ولم يزل يبطل مرادهم.

وكان أول دعاتهم عبد الله بن ميمون القداح ، ولما وضعوا هذا دعوا إلى التشيع ومذهب الأئمة حتى غروا الناس وهم براء من مذهب الشيعة.

ولهم أسماء كثيرة:

الإسماعيلية: لأنهم قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر وبإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، ويقولون هذا الدور [دوره ودور] محمد صلى الله عليه وآله وسلم مضى.

والباطنية: لقولهم لكل ظاهر باطن هو المقصود.

والقرامطة: منسوبون إلى رجل اسمه حمدان بن القرمط.

والشيعة: لأنهم اعتبروا على التشيع في كثير من الأشياء.

ولهم حيل وترتيب في الدعوة حتى يبلغوا أمر من يدعونه إلى الخروج من الدين، وكان لهم خرجة قد ظهر بها أثر إلحادهم كما فعل أبو سعيد الجنابي وابنه أبو الطاهر بالحاج من القتل والمعرة وبالكعبة

من قلع الحجر الأسود وإغارة مكة وما فعله زكرويه وغيره، وآخر الأمر هلكوا وزهق الباطل وبقي الإسلام ظاهراً كما كان.

ولهم مقالات كلها بخلاف أهل الإسلام:

أما في التوحيد: قالوا أن الله لا يمكن أن يوصف بصفة ولا يمكن أن يعلم ويخبر عنه، ويقولون أن الله تعالى لا يفعل شيئاً بالقصد ولكن يقولون ظهر منه شيئاً روحانياً إحداهما السابق والأخر التالي، والسابق ظهر أولاً ثم ظهر التالي من السابق ثم التالي خلق العالم وهو المدبر للعالم.

ويقولون: إن الأصل القديم لا يوصف بأنه موجود ولا لا موجود، ولا مذكور ولا لا مذكور، ولا معلوم ولا لا معلوم، ولا قادر ولا لا قادر، ولا عالم ولا لا عالم، ولا حي ولا لاحي، ولكنهم يقولون بالطبع وتأثير الطبائع.

وفي النبوات :ينكرون الوحي ومجيء الوحي ومجيء الملائكة والمعجزات، ويقولون كلها رموز واشارات لم يعلمها أهل الظاهر فمعنى ثعبان موسى حجته، ومعنى اظلال الغمام أمره عليهم، وأنكروا أن يكون عيسى من غير آب، ومعنى لا أب له أنه لم يأخذ العلم من إمام وإنما أخذه من نائب إمام، ويقولون القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم، ونبع الماء من بعض الأصابع إشارة إلى تكثير العلم، وطلوع الشمس من المغرب خروج الإمام.

وينكرون القيامة والآخرة والبعث والنشور والجنة والنار على ما ورد به القرآن وما عُرف من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة، ويقولون أن معرفة المعاد واجب بخلاف ما عليه أهل الظاهر، ومعنى القيامة قائم الزمان، والمعاد عود كل شيء إلى أصله من الطبائع الأربع، وينكرون الجنة والنار ويقولون معناه خروج الروح من الشخص ونقله إلى مكانة، ولا موت ابد اً.

ويقولون :للشرائع باطن هو المقصود ولكل كلام باطن غير الظاهر وآيات القرآن لها باطن لا يعرفه إلا الإمام أو من ينوب منابه وكل ما حرمه الشرع يقولون أنه مباح.

ويظهر ون في كل وقت مذهباً ويغر ون الناس ويبتدؤون يقولون لا بد من معلم ونحن نحتاج إلى معلم في معرفة الله، ومثل هذا من الطامات والخرافات الكثيرة التي لا حد لها.

❖ بيان مذهب الإمامية

سموا بذلك - أي إمامية - لقولهم أن الأمور الدينية كلها إلى الإمام، والإمام بمنزلة النبي، ولا بد في كل وقت من إمام، وأنه يحتاج إليه في كل أمور الدين والدنيا عند أكثرهم.

وسموا رافضة لتركهم زيد بن علي، وقيل تركهم النفس الزكية، وهم فرق كثيرة ويقولون بالنص الجلي على أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام وسائر الأئمة عليهم السلام.

وانقرض أكثرهم وليس لهم كتاب ولا علم، مثل "الكيسانية" و "الكاملية" و"الكرامية"، و"المغيرية" و"الجعفرية" و"الجعفرية"، و"المنصورية"، و"الشمطية" و"الواقفية" و"العمارية"، و"الميمونية"، و"المفضلية"، و"الناووسية" وهذه الفرق قد انقرضوا ولم يبقى قابل منهم، وباقي الإمامية ووجوههم وهم "القطعية" قطعوا على موت موسى بن جعفر عليهما السلام.

وكل فرقة ممن سميناهم اثبتوا غائباً وقالوا هو المنتظر:

فقالت الكيسانية :أن محمد بن الحنفية المنتظر.

والجعفرية قالوا :جعفر [الصادق]

والواقفية قالوا :المنتظر هو موسى وأمثال ذلك.

وأما القطعية :هم الذين قالوا بالأئمة الاثنى عشر ويقولون المنتظر هو محمد بن الحسن العسكري، وكان موت الحسن في سنة ستين ومائتين ومن حينه يقول ون سيخرج ولم يظهر له أثر ولا خبر، وهذه القطعية يقولون :بعصمة الإمام، وبالمعجز، وبالنص على الإثنى عشر، ويقولون لا يصلح غيرهم للإمامة من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين وبعدهم، وكان أول من وضع هذا المذهب هشام بن الحكم، وأبو عيسى الوراق، ونصره ابن الروندي وصنف فيه، ثم كثروا بعد ذلك وهم فرقتان، وكان أكثر سلفهم قالوا بالجبر والتشبيه كهشام بن الحكم والبابويه وأمثالهم.

والفرقة الأخرى قالوا :بالتوحيد والعدل كانوبختيه والمرتضى وصار هذا المذهب مذهباً بالمرتضى لأنه صنف الكتب في الأصول والفروع والإمامة ونصره وخلط التوحيد والعدل به، وكذلك أكثر متأخريهم

يقولون :بالتوحيد والعدل، ويخالفون في الإمامة ومسألة القياس، والاجتهاد والإجماع، والرجعة، والبداء.

فأما الذى عليه جميع الإمامية: هو النص الجلي على اثنى عشر، وعصمة الأئمة، وإثبات المعجز لهم، وتكفير أكثر الصحابة، وتكفير من لا يقل بإمامة ائمتهم، وتكفير الزيدية وأئمتهم وتكفير العدلية، ويقولون: لا يخلوا العالم من إمام، وينبغي أن يكون عالماً بجميع الأشياء، ويساوي في جميع الخصال مع النبي إلا الوحي، ويجوزون التقية على الإمام ويقولون قد مضى من هذه الأئمة إحدى عشر ولم تظهر في أيامهم أحكام الإسلام، وأجروا للكفار أحكام الكفار وما أنكر هو تقية، ويرى أكثرهم الزيادة والنقصان في القرآن، واختلفوا في الصحابة: فقال بعضهم: كانوا مسلمين لكن ارتدوا لمخالفة الإمام. وقال بعضهم :ما كانوا مسلمين ولكن منافقين ابد.

وقالوا :أبو بكر، وابنته عائشة، وعمر، وابنته حفصة كانوا منافقين، ونكاح الرسول صلة الله عليه وآله وسلم ابنتهما كانت تقية، وقالوا :عثمان كان كافر وزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقية. وقالوا :زوج علي ابنته عمر وهو كافر تقية، وقالت طائفة :ما كانت ابنة علي ولكن كانت حفصة بنت عمر على صورة ابنة علي فزوجه، وقال قوم منهم: كانت شيطانة، وقال قوم :كانت ابنة علي ولكن كانت كافرة فلذلك زوجه.

وقالوا الإمام يعلم الغيب، وإذا وقعت للإمام مسألة لا يعرفها تكلم جبريل بذلك.

فأما قولهم بالنص الجلي على إثنى عشر فمعلوم من مذهبهم أنهم اختلفوا عند موت كل إمام من أئمتهم فلو كان هناك نص ظاهر لم يختلفوا، وروي أن أول من وضع المذهب كان المأمون حتى لا يخرج الناس مع من يدعي الإمامة من العلوية ولا يعينوه، وقال ينبغي أن يكون الإمام على هذه الصفة ولزم واحد من أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعاه كما لزم علي بن موسى الرضى عليه السلام ليتسلم مملكتهم، والله أعلم.

ومن مصنفيهم :هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، وعلي بن منصور، وعلي بن مهزيار، وشيطان الطاق، والفضل بن شاذان.

❖ بيان مذهب المشبهة

هم فرقة ليس لهم كتاب في الأصول وإن كان فهو قدر من الأخبار، وهم مختلفون.

فِرقة يقولون :أن الله تعالى يجوز عليه المجيء والذهاب، ويثبتون لله الصورة والأعضاء والمكان.

وفرقة : أثبتوا المكان فقط، وأجمعوا على القول بالقرآن هذا المكتوب في المصاحف مائة وأربع عشر، سورة ومع هذا يقولون أنه قديم، وأوردوا في الكتب والأخبار أن الله له أعضاء اليد، والساق، والعين، والأذن، والوجهوغيرها، ولا يرون الجدال في هذا الباب، ويروون الأخبار في التوحيد والتشبيه ايضاً، وي ر وون في العدل، والجبر، وفي الوعيد، والارجاء، وأمثال ذلك ينقض

بعضها بعضاً، ويقولون امروها كما جاءت، ويطعنون في المتكلمين والفقهاء، ويدَّ عون أن السلف كانوا على هذا المذهب، ويف ترون الكذب، وفي رجال هذه الفرقة: يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، والكرابيسي، وابن إسحاق ابن راهويه، وداود الاصفهاني، ومحمد بن إسحاق ابن خزيمة وأمثالهم.

ويقولون :نحن نميز بين الأخبار الصحيحة والفاسدة، والصدق والكذب، وبينهم وبين هذه بَون بعيد، وحدث مذهبهم بعد الصدر الأول بزمانٍ كثير، وروايات الصحابة والتابعين ظاهرة في نفي التشبيه والجبر، وخاصة كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ولكن غلب عليهم الجهل.

❖ بيان مذهب ا لمجبرة

يسمون :المجبرة، والقدرية، وهم ينفون عن أنفسهم كل ذلك، ويتسَمّوْن بأهل السنة ولا نسلم لهم ذلك.

وهذا المذهب ظهر في أيام بني أمية ابتداؤه كان من معاوية، ثم ازداد بعده حتى كثروا، وهم فرق، وأجمعوا أن المعاصي كلها مخلوقة لله تعالى وبقضائه وإرادته، منهم:

الضرارية :وهم أصحاب ضرار بن عمرو، ومما اختص به من بين سائر المجبرة أن الاستطاعة قبل الفعل وأنها بعض المستطيع، وأن الله تعالى يُرى بحاسة سادسة غير الح واس الخمس، وأن الجسم أعراض مجتمعه إلى غير ذلك من الجهالات.

والجهمية :أصحاب جهم بن صفوان، ومما تفرد به أنه لا فعل للعبد البته وأن العباد فيما ينسب

إليهم كحركة الشجرة إلى الشجرة، والجنة والنار يفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط.

ومنهم النجارية :يقولون بنفي الرؤية، وبأن القرآن مخلوق، ويقولون بالجبر وبخلق أفعال العباد، ويجوزون تكليف ما لا يطاق.

قال أبو القاسم البلخي: قال النجار: قطب الرحى يتحرك ولا ينتقل، وهذا فساد في الحس، ويُجوّز القول بالبدل، والنجار كان في أيام خلفاء بني العباس واظهر هذه البدع، والمتكلمون من أهل الإسلام كأبي الهذيل وأمثاله ردوا عليه مقالته، ومذهب جهم كان ابتداء ظهوره في أيام الظاهرية فقُتل جهم.

ومن المجبرة :الكُلَّابية، والأشعرية من متأخريهم أحدثوا مذهب في الجبر كإضافة خلق أفعال العباد إلى الله تعالى، وأن الاستطاعة مع الفعل، وأن الله تعالى يكلف عباده ما لا يطيقون، وجوزوا على الله أن يعاقب العبد ابتداء بلا جرم.

ومنهم البكرية ومما اختصوا به أنهم قالوا أن الطفل لا يألم.

ومن جملتهم الكرامية :وهم فرق جمعوا بين التشبيه، والجبر، وقالوا أن الله على العرش، وأنه جسم محدود وأنه محل الحوادث، ثم بينهم اختلافات كثيرة وفرقهم :الحيدية والرزينية، والعابدية والهيصمية، والنوتية.

وأول من وضع هذا أبو عبد الله بن كرام، في أيام الظاهرية بنيسابور، وكان رجلاً جاهلاً يتكلم بكلام متناقض فاسد، ويدعو العوام إلى ما هو أسهل عليهم حتى اغتروا طائفة كثيرة.

❖ بيان مذهب المرجئة واختلافهم

وهم فرقتان:

فرقة :تقول بالعدل والإرجاء.

وفرقة :تقول بالجبر والإرجاء.

وهذا المذهب يوجد في كل فرقة إلا في الزيدية، ويروى عن الحسن بن محمد بن الحنفية، وعن كثير من السلف القول بالإرجاء.

وهم فرق:

- فرقة :يقولون لا وعيد لأهل القبلة، فإذا آمن فما يفعل بعده يكون مغفوراً، وهذا ليس بإرجاء؛ لأنهم يقطعون في الفساق أنهم من أهل الجنة ويثابون، وهذا خلاف كتاب الله ودين النبي صلى الله عليه وآله وسلم

- وفرقة :يقولون الوعيد يعم جميع أهل القبلة ولكن جوزوا خلف الوعيد وهذا عظيم؛ لأنه لا يخرج من أن يكون وعيد الله للعصاة كذباً وقد قال الله تعالى: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [ق: ٢٩].

- وفرقة :قالوا وعيد أهل القبلة ثابت ويعذب الفساق، ولكن ينقطع عقابهم ويخرجون من النار ويدخلون الجنة، وهذا القول أيضاً باطل.

- وفرقة :قالوا في آيات الوعيد استثناء لا نعرفه، يغفر الله لمن يشاء ويعذب من يشاء.

- وفرقة :يقولون آيات الوعد والوعيد متعارضة، والله تعالى يعلم مراده في كل مكلف، وعلى المكلف أن يتوقف ولا يقطع في أهل الكبائر من أهل القبلة - كالزاني والسارق - بعفو أو عاقب إذا مات ولم يتب، وهذا القول أقرب، لكن إذا كان المراد بالوعد الوعيد تعريف المكلف فإذا لم يمكن أن يعرف المكلف مراد الله في الوعد والوعيد لم يصح خطابه، ويبطل الوعد والوعيد والخوف والرجاء وبطلان ذلك معلوم بالقرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

❖ بيان مذهب أهل الحق ورجالهم

هم الذين أقاموا على دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، واجتنبوا البدع، إذا صح أن هذه المذاهب التي ذكرناها كلها محدثة بدعة لم يبق إلا مذهب واحد، وهو مذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومذهب أهل بيته وأصحابه، وتفصيله يكون موافقاً للجملة التي ذكرناها؛ لأنه إذا صح من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن الله واحد لا مثل له ولا شبيه فإذا قال أهل الحق :ليس بجسم، ولا جوهر، ولا عرض، ولا تجوز عليه الجوارح، والأعضاء، ولا قديم معه سواه، وأنه موجود فيما لم يزل ولا يزال، وأنه قادر لم يزل ولا يزال، يكون تفصيله موافقاً لتلك الجملة.

فإذا قلنا :أنه تعالى لا يُدرك بشيء من الحواس باللمس، والسمع، والبصر، والشم، والذوق، نزهناه من ذلك، ونفينا عنه المكان والجهة، وهذا التفصيل موافقاً لتلك الجملة.

وإذا قلنا :لا تجوز عليه الجوارح والأعضاء لا يكون مناقضاً للجملة.

وإذا قلنا :أن عبادة الصنم، والكفر، وسوء الثناء على الله تعالى، وقتل النفس بغير الحق، مثل قتل الرسل والأئمة والأولياء ليس من خلق الله وقضائه وإرادته، ولا يجوز أن يعاقب أحداً لغير جرم، ولا يأخذ أحداً بذنب غيره، ولا يكلف أحداً ما لا يطيق، وإذا كلف يثيب من أطاعه بالثواب ويعاقب العصاة؛ لأنه حسن في الحكمة وهذا كله يوافق الجملة، وما قاله مخالفونا سفه ومخالف للأصل ومعلوم من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى حكيم محسن، وقولنا وتفصيلنا يوافق تلك الجملة.

وإذا قلنا :وعد الله تعالى ووعيده صدق، ولا يجوز خلاف ما وعد وأوعد، وما يبدل القول لديه، يوافق هذا كتاب الله تعالى ودين الرسول صلى عليه وعلى آله، وخلافه لا يوافق الكتاب والدين.

وإذا كانت الرسل صلوات الله عليهم معصومين وحجج الله تعالى على الناس .قلنا :أنه لا يجوز عليهم الكبائر، وبلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه ولم يكتموا شيئاً من الشرائع، وبينوا واظهروا، وهذا التفصيل يوافق تلك الجملة.

ومن جوز الكفر والكبيرة على الأنبياء عليهم السلام لا يوافق تفصيله تلك الجملة؛ لأنه إذا جوز الكذب على ابراهيم عليه السلام كيف يعتمد على قوله؟

ومن جوز على داود عليه السلام أنه نظر في دار "أورنا" حتى رأى امرأته وعشق، وأمر أمير الجيش حتى يأمر "أورنا" أن يتقدم في القتال حتى يقتل ويتزوج بامرأته ومثل ذلك.

وإذا جوز أن يعبد الصنم في دار سليمان عليه السلام، ثم يجوز أن يجلس الشيطان على سريره ويجري الأحكام ويصاحب أهله، وكيف يبقى الأمان؟ وكيف يؤمن على الرسل؟.

وإذا جوز أن يوسف عليه السلام قصد الزنا، وأراد أن يزني ويضيف إلى سائر الرسل مثل هذه الفواحش.

وإذا جوز أن خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وعلى آله نظر في دار زيد حتى رأى امرأته وعشق ثم أوقع بينهما الكراهية حتى طلقها وتزوج بها، ويقول كان رسول الله صلى الله عليه يقرأ في صلاته

والنجم فإذا بلغ إلى قوله: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى} قرأ: تلك الغرانيق العّلا منها الشفاعة ترتجى، حتى نزل جبريل عليه السلام وقال :ماذا الذي قد فعلت.

وأمثال هذه كثيرة من الروايات التي هي من دسيس الملحدة قد دسوها بين جهلة الأمة، والله تعالى قد نزه أنبياه عن جميع هذه الأشياء وهم منزهون عن جميع المنفرات، وهم حجج الله على الخلق معصومون عن جميع ما ينفر الخلق عنه وقد قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران: ١٥٩]، بعد عنه الفضاضة ونزهه عنها كيلا ينفر النافر عنه، والكفر والكبائر أولى أن ينزهه عنها، وليس في كتاب الله شيء مما رووه، ولو ذكرناها هنا جميعاً لطال الكتاب وقد ذكرناه في تنزيه الأنبياء.

وإذا صح أن تفصيل مذهبنا يوافق هذه الجملة التي عُلم من دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة عرفنا أنه الحق ودين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومعلوم أن أهل بيت النبي عليه السلام كانوا على هذا ولم يكن بينهم في هذه الجملة خلاف، وكلام أمير المؤمنين وخطبه مشحونة بالتوحيد والعدل، وكذلك أولاده الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، وولده أبو هاشم، وولده الأخر الحسن، وزين العابدين، وأولاده مثل محمد بن علي الباقر، وزيد بن علي، وأولادهم مثل يحيى بن زيد، والحسن بن الحسن، وجعفر الصادق، وعبد الله بن الحسن، وأولاده النفس الزكية، وإبراهيم، ويحيى، وجميع العترة كلهم قالوا بالعدل والتوحيد والرواية ظاهرة عنهم في هذا، وذكر جميعهم لا يمكن هاهنا.

مفاخرة بني أمية وبني هاشم

[لشيخانا ابن أبي الحديد المعتزلي والجاحظ المعتزلي رحمهم الله]

[مفاخر بني أمية]

قالت أمية : لنا من نوادر الرجال في العقل والدهاء والادب والمكر ما ليس لاحد ، ولنا من الاجواد وأصحاب الصنائع ما ليس لاحد ، زعم الناس أن الدهاة أربعة : معاوية بن أبي سفيان ، وزياد ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، فمنا رجلان ، ومن سائر الناس رجلان .

ولنا في الاجواد سعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، لم يوجد لهما نظير إلى الساعة .

وأما نوادر الرجال في الرأي والتدبير فأبو سفيان بن حرب ، وعبد الملك بن مروان ، ومسلمه بن عبد الملك ، وعلى أنهم يعدون في الحلماء والرؤساء ، فأهل الحجاز يضربون المثل في الحلم بمعاوية ، كما يضرب أهل العراق المثل فيه بالاحنف .

فأما الفتوح والتدبير في الحرب فلمعاوية غير مدافع ، وكان خطيبا مصقعا ، ومجربا مظفرا ، وكان يجيد قول الشعر إذا آثر أن يقوله ، وكان عبد الملك خطيبا حازما مجربا مظفرا ، وكان مسلمة شجاعا مدبرا وسائسا مقدما ، وكثير الفتوح كثير الادب ، وكان يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وكان الوليد بن يزيد خطيبا شاعرا ، وكان مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن الحكم شاعرين ، وكان بشر بن مروان شاعرا ناسبا ، وأديبا عالما ، وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، جيد الرأي ، أديبا كثير الادب ، حكيما ، وكان أول من أعطى التراجمة والفلاسفة ، وقرب أهل الحكمة ورؤساء أهل كل صناعة ، وترجم كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والاداب والالات والصناعات .

قالوا : وإن ذكرت البأس والشجاعة فالعباس بن الوليد بن عبد الملك ، ومروان بن محمد ، وأبوه محمد بن مروان بن الحكم ، وهو صاحب مصعب ، وهؤلاء قوم لهم آثار بالروم لا تجهل ، وآثار بأرمينية لا تنكر ، ولهم يوم العقر ، شهده مسلمة والعباس بن الوليد .

قالوا : ولنا الفتوح العظام ، ولنا فارس ، وخراسان ، وأرمينية ، وسجستان ، وإفريقية ، وجميع فتوح عثمان ، فأما فتوح بنى مروان فأكثر وأعم وأشهر من أن تحتاج إلى عدد أو إلى شاهد .

والذين بلغوا في ذلك الزمان أقصى ما يمكن صاحب خف وحافر أن يبلغه ، حتى لم يحتجز منهم إلا ببحر أو خليج بحر أو غياض أو عقاب أو حصون وصياصي ثلاثة رجال : قتيبة بن مسلم بخراسان ، وموسى بن نصير بإفريقية ، والقاسم بن محمد بن القاسم الثقفي بالسند والهند ، وهؤلاء كلهم عمالنا وصنائعنا .

ويقال : إن البصرة كانت صنائع ثلاثة رجال : عبد الله بن عامر ، وزياد ، والحجاج ، فرجلان من أنفسنا والثالث صنيعنا .

قالوا : ولنا في الاجواد وأهل الاقدار بنو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أمية ، وأخوه خالد ، وفي خالد يقول الشاعر : إلى خالد حتى أنخنا بخالد * * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل ! ولنا سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وهو عقيد الندى ، كان يسبت ستة أشهر ويفيق ستة أشهر ، ويرى كحيلا من غير اكتحال ، ودهينا من غير تدهين ، وله يقول موسى شهوات : أبا خالد أعني سعيد بن خالد * * أخا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد (1) ولكننى أعنى ابن عائشة الذى * * أبو أبويه خالد بن أسيد عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى * * فإن مات لم يرض الندى بعقيد (2) قالوا : وإنما تمكن فينا الشعر وجاد ، ليس من قبل أن الذين مدحونا ما كانوا غير من مدح الناس ، ولكن لما وجدوا فينا مما يتسع لاجله القول ، ويصدق فيه القائل .

قد مدح عبد الله بن قيس الرقيات من الناس : آل الزبير عبد الله ومصعبا وغيرهما ، فكان يقول كما يقول غيره ، فلما صار إلينا قال : ما نقموا من بني أمية إلا * * أنهم يحلمون إن غضبوا (3) وأنهم معدن الملوك فما * * تصلح إلا عليهم العرب وقال نصيب : من النفر الشم الذين إذا انتجوا * * أقرت لنجواهم لؤي بن غالب (4) يحيون بسامين طورا وتارة * * يحيون عباسين شوس الحواجب (5) وقال الاخطل : شمس العداوة حتى يستقاد لهم * * وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا (6)

---

(1) الاغاني 3 : 352 (طبعة دار الكتب) .

(2) عقيد الندى : الكريم بطبعه .

(3) ديوانه 4 .

(4) الشم : جمع أشم ، وهو كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس .

(5) شوس : جمع أشوس ، والشوس بالتحريك : النظر بمؤخر العين تكبرا وغيظا .

(6) ديوانه 14 ، وشمس : جمع شموس ، وهو الرجل العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .

قالوا : وفينا يقول شاعركم والمتشيع لكم ، الكميت بن زيد : فالان صرت إلى أمية * * والامور لها مصاير (1) وفي معاوية يقول أبو الجهم العدوي : نقلبه لنخبر حالتيه * * فنخبر منهما كرما ولينا نميل على جوانبه كأنا * * إذا ملنا نميل على أبينا وفيه يقول : تريع إليه هوادى الكلام * * إذا ضل خطبته المهذر (2) قالوا : وإذا نظرتم في امتداح الشعراء عبد العزيز بن مروان عرفتم صدق ما نقوله.

قالوا : وفي إرسال النبي صلى الله عليه وآله إلى أهل مكة عثمان ، واستعماله عليها عتاب بن أسيد وهو ابن اثنتين وعشرين سنة دليل على موضع المنعة أن تهاب العرب وتعز قريش ، وقال النبي صلى الله عليه وآله قبل الفتح : " فتيان أضن بهما على النار : عتاب بن أسيد ، وجبير بن مطعم " فولى عتابا ، وترك جبير بن مطعم .

وقال الشعبى : لو ولد لي مائة ابن لسميتهم كلهم عبد الرحمن ، للذى رأيت في قريش من أصحاب هذا الاسم ، ثم عد عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص ، فأما عبد الرحمن بن عتاب فإنه صاحب الخيل يوم الجمل ، وهو صاحب الكف والخاتم ، وهو الذى مر به علي وهو قتيل فقال : لهفي عليك يعسوب قريش ، هذا اللباب المحض من بني عبد مناف ! فقال له قائل : لشد ما أتيته اليوم يا أمير المؤمنين ! قال : أنه قام عني وعنه نسوة لم يقمن عنك .

قالوا : ولنا من الخطباء معاوية بن أبي سفيان ، أخطب الناس قائما وقاعدا ، وعلى منبر ، وفي خطبة نكاح .

وقال عمر بن الخطاب : ما يتصعدني شئ من الكلام كما يتصعدني خطبة النكاح ، وقد يكون خطيبا من ليس عنده في حديثه ووصفه للشئ احتجاجه في الامر لسان بارع .

وكان معاوية يجري مع ذلك كله .

___

(1) الاغاني 15 : 111 ، وروايته : " والامور إلى المصاير " .

(2) المهذر : الكثير الخطأ في الكلام .

قالوا : ومن خطبائنا يزيد بن معاوية كان أعرابي اللسان ، بدوي اللهجة ، قال معاوية : وخطب عنده خطيب فأجاد : لارمينه بالخطيب الاشدق يريد يزيد بن معاوية ، ومن خطبائنا سعيد بن العاص ، لم يوجد كتحبيره تحبير ، ولا كارتجاله ارتجال .

ومنا عمرو بن سعيد الاشدق ، لقب بذلك لانه حيث دخل على معاوية وهو غلام بعد وفاة أبيه ، فسمع كلامه ، فقال : إن ابن سعيد هذا الاشدق .

وقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك ؟ قال : إن أبي أوصى إلي ولم يوص بي ، قال : فبم أوصى إليك؟ قال : ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه .

قالوا : ومنا سعيد بن عمرو بن سعيد ، خطيب ابن خطيب ابن خطيب ، تكلم الناس عند عبد الملك قياما وتكلم قاعدا .

قال عبد الملك : فتكلم وأنا والله أحب عثرته وإسكاته ، فأحسن حتى استنطقته واستزدته ، وكان عبد الملك خطيبا ، خطب الناس مرة فقال : ما أنصفتمونا معشر رعيتنا ، طلبتم منا أن نسير فيكم وفي أنفسنا سيرة أبي بكر وعمر في أنفسهما ورعيتهما ، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية أبي بكر وعمر فيهما وفي أنفسهما ، ولكل من النصفة نصيب .

قالوا : فكانت خطبته نافعه .

قالوا : ولنا زياد وعبيد الله بن زياد ، وكانا غنيين في صحة المعاني ، وجودة اللفظ ، ولهما كلام كثير محفوظ .

قالوا : ومن خطبائنا سليمان بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك .

ومن خطبائنا ونساكنا يزيد بن الوليد الناقص .

قال عيسى بن حاضر : قلت لعمرو بن عبيد : ما قولك في عمر بن عبد العزيز ؟ فكلح (1) ، ثم صرف وجهه عني .

---

(1) كلح ، كمنع : كشر في عبوس .

قلت : فما قولك في يزيد الناقص ؟ فقال : أو الكامل ، قال بالعدل ، وعمل بالعدل ، وبذل نفسه وقتل ابن عمه في طاعة ربه ، وكان نكالا لاهله ، ونقص من أعطياتهم ما زادته الجبابرة ، وأظهر البراءة من آبائه ، وجعل في عهده شرطا ولم يجعله جزما ، لا والله لكانه ينطق عن لسان أبي سعيد - يريد الحسن البصري - قال : وكان الحسن من أنطق الناس .

قالوا : وقد قرئ في الكتب القديمة : يا مبذر الكنوز ، يا ساجدا بالاسحار ، كانت ولايتك رحمة بهم ، وحجة عليهم .

قالوا : هو يزيد بن الوليد .

ومن خطبائنا ثم من ولد سعيد بن العاص عمرو بن خولة ، كان ناسبا فصيحا خطيبا .

وقال ابن عائشة الاكبر : ما شهد خطيبا قط إلا ولجلج هيبة له ومعرفة بانتقاده .

ومن خطبائنا عبد الله بن عامر ، وعبد الاعلى بن عبد الله بن عامر ، وكانا من أكرم الناس ، وأبين الناس ، كان مسلمة بن عبد الملك يقول : إني لانحي كور عمامتى على أذني لاسمع كلام عبد الاعلى .

وكانوا يقولون : أشبه قريش نعمة وجهارة واقتدارا وبيانا بعمرو بن سعيد عبد الاعلى بن عبد الله .

قالوا : ومن خطبائنا ورجالنا الوليد بن عبد الملك ، وهو الذى كان يقال له فحل بني مروان ، كان يركب معه ستون رجلا لصلبه .

ومن ذوي آدابنا وعلمائنا وأصحاب الاخبار ورواية الاشعار والانساب بشر بن مروان أمير العراق .

قالوا : ونحن أكثر نساكا منكم ، منا معاوية بن يزيد بن معاوية ، وهو الذى قيل له في مرضه الذى مات فيه : لو أقمت للناس ولى عهد ؟ قال : ومن جعل لي هذا العهد في أعناق الناس ؟ والله لو لا خوفي الفتنه لما أقمت عليها طرفة عين ، والله لا أذهب بمرارتها ، وتذهبون بحلاوتها ، فقالت له أمه: لوددت أنك حيضة ، قال : أنا والله وددت ذلك .

قالوا : ومنا سليمان بن عبد الملك الذى هدم الديماس (1) ورد المسيرين ، وأخرج المسجونين ، وترك القريب .

---

(1) الديماس : سجن كان للحجاج .

واختار عمر بن عبد العزيز ، وكان سليمان جوادا خطيبا جميلا صاحب سلامة ودعة وحب للعافية وقرب من الناس ، حتى سمى المهدي ، وقيلت الاشعار في ذلك .

قالوا : ولنا عمر بن عبد العزيز ، شبه عمر بن الخطاب ، قد ولده عمر ، وباسمه سمي ، وهو أشج قريش المذكور في الاثار المنقولة في الكتب ، العدل في أشد الزمان ، وظلف (1) نفسه بعد اعتياد النعم ، حتى صار مثلا ومفخرا .

وقيل للحسن : أما رويت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لا يزداد الزمان إلا شدة ، والناس إلا شحا ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ! قال : بلى ، قيل : فما بال عمر بن عبد العزيز وعدله وسيرته ! فقال لا بد للناس من متنفس .

وكان مذكورا مع الخطباء ، ومع النساك ، ومع الفقهاء .

قالوا : ولنا ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز ، كان ناسكا زكيا طاهرا ، وكان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لابيه ، وكان كثيرا ما يعظ أباه وينهاه .

قالوا : ولنا من لا نظير له في جميع أموره ، وهو صاحب الاعوص ، إسماعيل بن أمية ابن عمرو بن سعيد بن العاص ، وهو الذى قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو كان إلي من الامر شئ لجعلتها شورى بين القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وصاحب الاعوص .

قالوا : ومن نساكنا أبو حراب من بنى أمية الصغرى ، قتله داود بن علي ، ومن نساكنا يزيد بن محمد بن مروان ، كان لا يهدب (2) ثوبا ولا يصبغه ، ولا يتخلق بخلوق (3) ، ولا اختار طعاما على طعام ، ما أطعم أكله ، وكان يكره التكلف ، وينهى عنه .

قالوا : ومن نساكنا أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ، أراد عمر أخوه أن يجعله ولي عهده لما رأى من فضله وزهده ، فسما فيهما جميعا .

---

(1) ظلف نفسه : منعها .

(2) يهدب : يقطع .

(3) الخلوق : الطيب .

ومن نساكنا عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، كان يصلى كل يوم ألف ركعة ، و كان كثير الصدقة ، وكان إذا تصدق بصدقه قال : اللهم إن هذا لوجهك ، فخفف عنى الموت .

فانطلق حاجا ، ثم تصبح بالنوم فذهبوا ينبهونه للرحيل ، فوجدوه ميتا ، فأقاموا عليه المأتم بالمدينة ، وجاء أشعب فدخل إلى المأتم وعلى رأسه كبة من طين ، فالتدم (1) مع النساء ، وكان إليه محسنا .

ومن نساكنا عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .

قالوا : فنحن نعد من الصلاح والفضل ما سمعتموه ، وما لم نذكره أكثر ، وأنتم تقولون : أمية هي الشجرة الملعونة في القرآن ، وزعمتم أن الشجرة الخبيثة لا تثمر الطيب ، كما أن الطيب لا يثمر الخبيث ، فإن كان الامر كما تقولون ، فعثمان بن عفان ثمرة خبيثة .

وينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وآله دفع ابنتيه إلى خبيث ، وكذلك يزيد بن أبي سفيان صاحب مقدمة أبي بكر الصديق على جيوش الشام ، وينبغى لابي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون كذلك ، وينبغي لمحمد بن عبد الله المدبج أن يكون كذلك ، وإن ولدته فاطمة عليها السلام ، لانه من بني أمية ، وكذلك عبد الله بن عثمان بن عفان سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ، الذى مات بعد أن شدن (2) ونقر الديك عينه ، فمات لانه من بنى أمية ، وكذلك ينبغى أن يكون عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية وإن كان النبي صلى الله عليه وآله ولاه مكة أم القرى وقبلة الاسلام ، مع قوله عليه السلام " فتيان أضن بهما عن النار: عتاب ابن أسيد وجبير بن مطعم " .

وكذلك ينبغى أن يكون عمر بن عبد العزيز شبيه عمر بن الخطاب كذلك ، وكذلك معاوية بن يزيد بن معاوية ، وكذلك يزيد الناقص ، وينبغى ألا يكون النبي صلى الله عليه وسلم عد عثمان في العشرة الذين بشرهم بالجنة ، وينبغى أن يكون خالد بن سعيد بن العاص شهيد يوم مرج الصفر (2) والحبيس في سبيل الله ، ووالي النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ، ووالى أبي بكر على جميع

---

(1) التدم مع النساء : ضرب صدره معهن في النياحة .

(2) شدن : قوي وترعرع ، وأصله في الظباء .

أجناد الشام ، ورابع أربعة في الاسلام ، والمهاجر إلى أرض الحبشه كذلك ، وكذلك أبان بن سعيد بن العاص المهاجر إلى المدينة ، والقديم في الاسلام ، والحبيس على الجهاد ، ويجب أن يكون ملعونا خبيثا ، وكذلك أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وهو بدري من المهاجرين الاولين ، وكذلك أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، وأمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذلك أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يخرجها من المغازى ، ويضرب لها بسهم ، ويصافحها ، وكذلك فاطمة بنت أبي معيط ، وهى من مهاجرة الحبشة .

قالوا : ومما نفخر به وليس لبنى هاشم مثله ، أن منا رجلا ولي أربعين سنة منها عشرون سنة خليفة ، وهو معاوية بن أبي سفيان .

ولنا أربعة أخوة خلفاء : الوليد ، وسليمان ، وهشام ، بنو عبد الملك ، وليس لكم ويزيد ، إلا ثلاثة أخوة : محمد ، وعبد الله ، وأبي إسحاق أولاد هارون .

قالوا : ومنا رجل ولده سبعة من الخلفاء وهو عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، أبوه يزيد بن عاتكة خليفة ، وجده عبد الملك خليفة ، وأبو جده مروان ابن الحكم خليفة ، وجده من قبل عاتكة ابنة يزيد بن معاوية أبوها يزيد بن معاوية وهو خليفة ، ومعاوية بن أبي سفيان وهو خليفة ، فهؤلاء خمسة ، وأم عبد الله هذا عاتكة بنت عبد الله بن عثمان بن عفان ، وحفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فهذان خليفتان ، فهذه سبعة من الخلفاء ولدوا هذا الرجل .

قالوا : ومنا امرأة أبوها خليفة ، وجدها خليفة ، وأبنها خليفة ، وأخوها خليفة ، وبعلها خليفة ، فهؤلاء خمسة ، وهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها يزيد بن معاوية خليفة ، وجدها معاوية بن أبي سفيان خليفة ، وابنها يزيد بن عبد الملك بن مروان خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وبعلها عبد الملك بن مروان خليفة .

قالوا : ومن ولد المدبج محمد بن عبد الله الاصغر امرأة ولدها النبي صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وهى عائشة بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان ، وأمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير ، وأم عروة أسماء ذات النطاقين بنت أبي بكر الصديق ، وأم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو المدبج - فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام

، وأم الحسين بن علي عليه السلام فاطمة بنت رسول الله صللى الله عليه وآله ، وأم فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله ، وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب .

قالوا : ولنا في الجمال والحسن ما ليس لكم ، منا المدبج ، والديباج ، قيل ذلك لجماله .

ومنا المطرف ، ومنا الارجوان ، فالمطرف وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان سمي المطرف لجماله ، وفيه يقول الفرزدق : نما الفاروق إنك وابن أروى * * أبوك فأنت منصدع النهار والمدبج هو الديباج ، كان أطول الناس قياما في الصلاة ، وهلك في سجن المنصور قالوا : ومنا ابن الخلائف الاربعة ، دعي بذلك وشهر به ، وهو المؤمل بن العباس ابن الوليد بن عبد الملك ، كان هو وأخوه الحارث ابني العباس بن الوليد من الفجاءة بنت قطري بن الفجاءة ، إمام الخوارج ، وكانت سبيت فوقعت إليه ، فلما قام عمر بن عبد العزيز أتت وجوه بني مازن وفيهم حاجب بن ذبيان المازني الشاعر ، فقال حاجب : أتيناك زوارا ووفدا إلى التى * * أضاءت فلا يخفى على الناس نورها أبوها عميد الحي جمعا وأمها * * من الحنظليات الكرام حجورها فإن تك صارت حين صارت فإنها * * إلى نسب زاك كرام نفيرها فبعث عمر بن عبد العزيز إلى العباس بن الوليد إما أن تردها إلى أهلها ، وإما أن تزوجها ، فقال قائل ذات يوم للمؤمل : يا بن الخلائف الاربعة ، قال : ويلك من الرابع !

قال : قطري ، فأما الثلاثة فالوليد وعبد الملك ومروان ، وأما قطري فبويع بالخلافة ، وفيه يقول الشاعر : * وأبو نعامة سيد الكفار * قالوا : ومن أين صار محمد بن على بن عبد الله بن العباس أحق بالدعوة والخلافة من سائر إخوته ! ومن أين كان له أن يضعها في بيته دون أخوته ! وكيف صار بنو الاخ أحق بها من الاعمام ! وقالوا : إن يكن هذا الامر إنما يستحق بالميراث ، فالاقرب إلى العباس أحق ، وإن كان بالسن و التجربة فالعمومة بذلك أولى .

قالوا : فقد ذكرنا جملا من حال رجالنا في الاسلام ، وأما الجاهلية فلنا الاعياص والعنابس (1) .

ولنا ذو العصابة أبو أحيحة سعيد بن العاص كان إذا اعتم لم يعتم (2) بمكه أحد ، ولنا حرب بن أمية رئيس يوم الفجار ، ولنا أبو سفيان بن حرب رئيس أحد والخندق ، وسيد قريش كلها في زمانه .

وقال أبو الجهم بن حذيفة العدوي لعمر حين رأى العباس وأبا سفيان على فراشه دون الناس : ما نرانا نستريح من بني عبد مناف على حال ! قال عمر : بئس أخو العشيرة أنت ! هذا عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا سيد قريش .

قالوا : ولنا عتبة بن ربيعة ، ساد مملقا ، ولا يكون السيد إلا مترفا ، لو لا ما رأوا عنده من البراعة والنبل والكمال .

وهو الذى لما تحاكمت بجيلة وكلب في منافرة جرير والفرافصة ، وتراهنوا بسوق عكاظ ، وصنعوا الرهن على يده دون جميع من شهد على ذلك المشهد ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونظر إلى قريش مقبلة يوم بدر : " إن يكن منهم عند أحد خير فعند صاحب الجمل الاحمر " ، وما ظنك بشيخ طلبوا له من جميع العسكر عند المبارزة بيضة فلم يقدروا على بيضة يدخل رأسه فيها ، وقد قال الشاعر : * وأنا أناس يملا البيض هامنا * قالوا : وأمية الاكبر صنفان : الاعياص والعنابس ، قال الشاعر : من الاعياص أو من آل حرب * * أغر كغرة الفرس الجواد (3) سموا بذلك في حرب الفجار حين حفروا لارجلهم الحفائر وثبتوا فيها ، وقالوا : نموت جميعا أو نظفر .

وإنما سموا بالعنابس لانها أسماء الاسود ، وإنما سموا الاعياص لانها أسماء الاصول ، فالعنابس : حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو ، والاعياص : العيص ، وأبو العيص ، والعاص ، وأبو العاص وأبو عمرو ، ولم يعقب من العنابس إلا حرب ، وما عقب من الاعياص إلا العيص ، ولذلك كان معاوية يشكو القلة

---

(1) في الاغاني 1 : 14 (طبعة دار الكتب) بسنده عن الزبير بن بكار عن شيوخه : " الاعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعويص ، ومنهم العنابس ، وهم : حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو ، وإنما سموا العنابس ، لانهم ثبتوا مع أخيهم حرب بن أمية بعكاظ ، وعقلوا أنفسهم وقاتلوا قتالا شديدا ، فشبهوا بالاسد ، والاسد يقال لها : العنابس ، واحدها عنبسة " .

(2) اعتم : أرخى عمامته .

(3) من أبيات في الاغاني 1 : 14 - 16 ، ونسبها إلى عبد الله بن فضالة الاسدي .

قالوا : وليس لبنى هاشم والمطلب مثل هذه القسمة ، ولا مثل هذا اللقب المشهور .

وهذا ما قالته أمية عن نفسها .

[ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية]

ونحن نذكر ما أجاب به أبو عثمان عن كلامهم ، ونضيف إليه من قبلنا أمورا لم يذكرها ، فنقول :

قالت هاشم : أما ما ذكرتم من الدهاء والمكر فإن ذلك من أسماء فجار العقلاء ، وليس من أسماء أهل الصواب في الرأي من العقلاء والابرار ، وقد بلغ أبو بكر وعمر من التدبير وصواب الرأي ، والخبرة بالامور العامة ، وليس من أوصافهما ولا من أسمائهما أن يقال : كانا داهيين ، ولا كانا مكيرين .

وما عامل معاوية وعمرو بن العاص عليا عليه السلام قط بمعاملة إلا وكان علي عليه السلام أعلم بها منهما ، ولكن الرجل الذى يحارب ولا يستعمل إلا ما يحل له أقل مذاهب في وجوه الحيل والتدبير من الرجل الذى يستعمل ما يحل وما لا يحل ، وكذلك من حدث وأخبر ، أ لا ترى أن الكذاب ليس لكذبه غاية ، ولا لما يولد ويصنع نهاية ، والصدوق إنما يحدث عن شئ معروف ، ومعنى محدود ! ويدل على ما قلنا أنكم عددتم أربعة في الدهاء ، وليس واحد منهم عند المسلمين في طريق المتقين ، ولو كان الدهاء مرتبة والمكر منزلة لكان تقدم هؤلاء الجميع السابقين الاولين عيبا شديدا في السابقين الاولين ، ولو أن أنسانا أراد أن يمدح أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ثم قال : الدهاة أربعة ، وعدهم ، لكان قد قال قولا مرغوبا عنه ، لان الدهاء والمكر ليس من صفات الصالحين ، وإن علموا من غامض الامور ما يجهله جميع العقلاء ، ألا ترى أنه قد يحسن أن يقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله أكرم الناس ، وأحلم الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، ولا يجوز أن يقال : كان أمكر الناس ، وأدهى الناس ، وإن علمنا أن علمه قد أحاط بكل مكر وخديعة ، وبكل أدب ومكيدة ! وأما ما ذكرتم من جود سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر ، فأين أنتم من عبد الله بن جعفر ، وعبيد الله بن العباس ، والحسن بن علي وأين أنتم من جود خلفاء بني العباس ، كمحمد المهدي ، وهارون ، ومحمد بن زبيدة ، وعبد الله المأمون ، وجعفر المقتدر ! بل لعل جود بعض صنائع هؤلاء كبنى برمك وبنى الفرات ، أعظم من جود الرجلين اللذين ذكرتموهما ، بل من جميع ما جاء به خلفاء بني أمية .

وأما ما ذكرتم من حلم معاوية فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلماء لكانوا محتملين لذلك ، ولكن الوجه في هذا ألا يشتق للرجل اسم إلا من أشرف أعماله وأكرم أخلاقه ، وإلا أن يتبين بذلك عند أصحابه حتى يصير بذلك اسما يسمى به ، ويصير معروفا به ، كما عرف الاحنف بالحلم ، وكما عرف حاتم بالجود ، وكذلك هرم ، قالوا : هرم الجواد ، ولو قلتم : كان أبو العاص بن أمية أحلم الناس ، لقلنا : ولعله يكون قد كان حليما ، ولكن ليس كل حلم يكون صاحبه به مذكورا ، ومن أشكاله بائنا .
وإنكم لتظلمون خصومكم في تسميتكم معاوية بالحلم ، فكيف من دونه ، لان العرب تقول : أحلم الحلمين ألا يتعرض ثم يحلم ، ولم يكن في الارض رجل أكثر تعرضا من معاوية ، والتعرض هو السفه ، فإن ادعيتم أن الاخبار التى جاءت في تعرضه كلها باطلة ، فإن لقائل أن يقول : وكل خبر رويتموه في حلمه باطل ، ولقد شهر الاحنف بالحلم ، ولكنه تكلم بكلام كثير يجرح في الحلم ويثلم في العرض (1) ، ولا يستطيع أحد أن يحكي عن العباس بن عبد المطلب ولا عن الحسن بن علي بن أبي طالب لفظا فاحشا ، ولا كلمة ساقطة ، ولا حرفا واحدا مما يحكى عن الاحنف ومعاوية .
وكان المأمون أحلم الناس ، وكان عبد الله السفاح أحلم الناس .
وبعد فمن يستطيع أن يصف هاشما أو عبد المطلب بالحلم دون غيره من الاخلاق والافعال حتى يسميه بذلك ، ويخص به دون كل شئ فيه من الفضل ! وكيف وأخلاقهم متساوية ، وكلها في الغاية ! ولو أن رجلا كان أظهر الناس زهدا ، وأصدقهم للعدو لقاء ، وأصدق الناس لسانا ، وأجود الناس كفا ، وأفصحهم منطقا ، وكان بكل ذلك مشهورا ، لمنع بعض ذلك من بعض ، ولما كان له اسم السيد المقدم ، والكامل المعظم ، ولم يكن الجواد أغلب على اسمه ، ولا البيان ولا النجدة .
وأما ما ذكرتم من الخطابة والفصاحة والسؤدد والعلم بالادب والنسب ، فقد علم الناس أن بنى هاشم في الجملة أرق ألسنة من بنى أمية ، كان أبو طالب والزبير شاعرين ، وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعرا ، ولم يكن من أولاد أمية بن عبد شمس لصلبه شاعر ، ولم يكن في أولاد

---

(1) يثلم في العرض ، أي ينال منه ويقع فيه .

أمية إلا أن تعدوا في الاسلام العرجي من ولد عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن الحكم ، فنعد نحن الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، وعبد الله بن معاوية بن جعفر ، ولنا من المتأخرين محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالرضي ، وأخوه أبو القاسم ، ولنا الحماني ، وعلى بن محمد صاحب الزنج ، وكان ابراهيم ابن الحسن صاحب باخمرى (1) أديبا شاعرا فاضلا ، ولنا محمد بن على بن صالح الذى خرج في أيام المتوكل .

قال أبو الفرج الاصفهاني : كان من فتيان آل أبي طالب وفتاكهم وشجعانهم وظرافهم وشعرائهم ، وإن عددتم الخطابة والبيان والفصاحة ، لم تعدوا كعلي بن أبي طالب عليه السلام ، ولا كعبد الله بن العباس ، ولنا من الخطباء زيد بن على بن الحسين ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، وجعفر بن الحسين بن الحسن ، وداود بن على بن عبد الله بن العباس ، وداود وسليمان ابنا جعفر بن سليمان .

قالوا : كان جعفر بن الحسين بن الحسن ينازع زيد بن على بن الحسين في الوصية ، وكان الناس يجتمعون ليستمعوا محاورتهما ، وكان سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي والي مكة ، فكان أهل مكة يقولون لم يرد علينا أمير إلا وسليمان أبين منه قاعدا ، وأخطب منه قائما .

وكان داود إذا خطب اسحنفر (2) فلم يرده شئ .

قالوا : ولنا عبد الملك بن صالح بن علي ، كان خطيبا بليغا وسأله الرشيد - وسليمان بن أبي جعفر وعيسى بن جعفر حاضران - فقال له : كيف رأيت أرض كذا ؟ قال : مسافي ريح ، ومنابت شيح .

---

(1) باخمرى : بلدة قرب الكوفة بها قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي .

(2) اسحنفر الرجل في منطقه : مضى فيه .

قال : فأرض كذا ، قال : هضبات (1) حمر ، وربوات (2) عفر ، حتى أتى على جميع ما سأله عنه ، فقال عيسى لسليمان : والله ما ينبغى لنا أن نرضى لانفسنا بالدون من الكلام .

قالوا : وأما ما ذكرتم من نساك الملوك ، فلنا علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبزهده وبدينه يضرب المثل ، ولنا محمد بن الواثق من خلفاء بنى العباس ، وهو الملقب بالمهتدى ، كان يقول : إني لانف لبنى العباس ألا يكون منهم مثل عمر بن عبد العزيز ، فكان مثله وفوقه ، ولنا القادر أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر ، ولنا القائم عبد الله بن القادر ، كانا على قدم عظيمة من الزهد والدين والنسك ، وإن عددتم النساك من غير الملوك فأين أنتم عن على بن الحسين زين العابدين ! وأين أنتم عن على بن عبد الله بن العباس ! وأين أنتم عن على بن الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام ، الذى كان يقال له : علي الخير ، وعلى الاغر ، وعلي العابد ، وما أقسم على الله بشئ إلا وأبر قسمه ! وأين أنتم عن موسى بن جعفر بن محمد ! وأين أنتم عن على بن محمد الرضا ، لابس الصوف طول عمره ، مع سعة أمواله ، وكثرة ضياعه وغلاته !

وأما ما ذكرتم من الفتوح ، فلنا الفتوح المعتصمية التى سارت بها الركبان ، وضربت بها الامثال ، ولنا فتوح الرشيد ، ولنا الاثار الشريفة في قتل بابك الخرمي بعد أن دامت فتنته في دار الاسلام نحو ثلاثين سنة .

وإن شئت أن تعد فتوح الطالبيين بإفريقية ومصر وما ملكوه من مدن الروم والفرنج والجلالقة في سني ملكهم ، عددت الكثير الجم الذى يخرج عن الحصر ويحتاج إلى تاريخ مفرد يشتمل على جلود كثيرة .

فأما الفقه والعلم والتفسير والتاويل فان ذكرتموه لم يكن لكم فيه أحد وكان لنا فيه مثل على بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله بن العباس ، وزيد بن على ، ومحمد بن على ، ابني علي بن الحسين بن علي ، وجعفر بن محمد الذى ملا الدنيا علمه وفقهه .

---

(1) الهضبات : جمع هضبة ، وهي الجبل الطويل الممتنع ، ولايكون ذلك إلا في حمر الجبال .

(2) الربوات ، جمع ربوة ، وهي أعلى الجبل .

ويقال : أن أبا حنيفة من تلامذته ، وكذلك سفيان الثوري ، وحسبك بهما في هذا الباب ، ولذلك نسب سفيان إلى أنه زيدي المذهب ، وكذلك أبو حنيفة .

ومن مثل على بن الحسين زين العابدين ! وقال الشافعي في الرسالة في إثبات خبر الواحد : وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة يعول على أخبار الاحاد .

ومن مثل محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم الذى قرر علوم التوحيد والعدل ! وقالت المعتزلة : غلبنا الناس كلهم بأبي هاشم الاول ، وأبي هاشم الثاني ! وإن ذكرتم النجدة والبسالة والشجاعة فمن مثل على بن أبي طالب عليه السلام ، وقد وقع اتفاق أوليائه وأعدائه على أنه أشجع البشر ! ومن مثل حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ! ومن مثل الحسين بن علي عليهما السلام ! قالوا يوم الطف : ما رأينا مكثورا قد أفرد من أخوته وأهله وأنصاره أشجع منه ، كان كالليث المحرب ، يحطم الفرسان حطما .

وما ظنك برجل أبت نفسه الدنية وأن يعطي بيده ، فقاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعد بذل الامان لهم ، والتوثقة بالايمان المغلظة ، وهو الذى سن للعرب الاباء .

واقتدى بعده أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم .

ومن لكم مثل محمد وإبراهيم بن عبد الله ! ومن لكم كزيد بن علي ، وقد علمتم كلمته التى قالها حيث خرج من عند هشام : ما أحب الحياه إلا من ذل ، فلما بلغت هشاما قال : خارج ورب الكعبة ! فخرج بالسيف ، ونهى عن المنكر ودعا إلى إقامه شعائر الله حتى قتل صابرا محتسبا .

وقد بلغتكم شجاعة أبي إسحاق المعتصم ، ووقوفه في مشاهد الحرب بنفسه حتى فتح الفتوح الجليلة. وبلغتكم شجاعة عبد الله بن علي ، وهو الذى أزال ملك بنى مروان ، وشهد الحروب بنفسه ، وكذلك صالح بن على ، وهو الذى اتبع مروان بن محمد إلى مصر حتى قتله .

قالوا : وإن كان الفضل والفخر في تواضع الشريف ، وإنصاف السيد ، وسجاحة الخلق ولين الجانب للعشيرة والموالي ، فليس لاحد من ذلك ما لبنى العباس ، ولقد سألنا طارق بن المبارك - وهو مولى لبنى أمية وصنيعة من صنائعهم - فقلنا أي القبيلتين أشد نخوة وأعظم كبرياء وجبرية ، أ بنو مروان ؟ أم بنو العباس ؟ فقال : والله لبنو مروان في غير دولتهم أعظم كبرياء من بنى العباس في دولتهم ، وقد

كان أدرك الدولتين ، ولذلك قال شاعرهم : إذا نابه من عبد شمس رأيته * * يتيه فرشحه لكل عظيم وإن تاه تياه سواهم فإنما * * يتيه لنوك أو يتيه للوم (1) ومن كلامهم : من لم يكن من بنى أمية تياها فهو دعي .

قالوا : وإن كان الكبر مفخرا يمدح به الرجال ويعد من خصال الشرف والفضل ، فمولانا عمارة بن حمزة أعظم كبرا من كل أموي كان ويكون في الدنيا ، وأخباره في كبره وتيهه مشهورة متعالمة .

قالوا : وإن كان الشرف والفخر في الجمال وفي الكمال وفي البسطة في الجسم وتمام القوام ، فمن كان كالعباس بن عبد المطلب ! قالوا : رأينا العباس يطوف بالبيت وكأنه فسطاط (2) أبيض .

ومن مثل على بن عبد الله بن العباس وولده ، وكان كل واحد منهم إذا قام إلى جنب أبيه كان رأسه عند شحمه أذنه ، وكانوا من أطول الناس ، وإنك لتجد ميراث ذلك اليوم في أولادهم .

ثم الذى رواه أصحاب الاخبار وحمال الاثار في عبد المطلب من التمام والقوام والجمال والبهاء ، وما كان من لقب هاشم بالقمر لجماله ، ولانهم يستضيئون برأيه ، وكما رواه الناس أن عبد المطلب ولد عشرة كان الرجل منهم يأكل في المجلس الجذعة (3) ويشرب الفرق (4) ، وترد آنفهم قبل شفاههم ، وإن عامر بن مالك لما رآهم يطوفون بالبيت كأنهم جمال جون (5) قال : بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة ! وقد سمعتم ما ذكره الناس من جمال السفاح وحسنه ، وكذلك المهدي وابنه هارون الرشيد ، وابنه محمد بن زبيدة وكذلك هارون الواثق ، ومحمد المنتصر والزبير المعتز .

---

(1) ب : " لنول " تصحيف ، وصوابه في أ .

والنوك : الحمق ، واللوم أصله " اللؤم " : بالهمزة ، وخفف للشعر .

(2) الفسطاط : الخيمة .

(3) الجذعة من الضأن : الصغيرة .

(4) الفرق ، بكسر فسكون : مكيال بالمدينة ، يسع ثلاثة آصع ، أو ستة عشر رطلا .

(5) الجون من الابل والخيل : جمع جون ، بفتح فسكون ، وهو الادهم .

قالوا : ما رئي في العرب ولا في العجم أحسن صورة منه ، وكان المكتفي علي بن المعتضد بارع الجمال ، ولذلك قال الشاعر يضرب المثل به : والله لا كلمته ولو انه * * كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي فجعله ثالث القمرين ، وكان الحسن بن على عليه السلام أصبح الناس وجها ، كان يشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ، وكذلك عبد الله بن الحسن المحض .

قالوا : ولنا ثلاثة في عصر بنو عم ، كلهم يسمى عليا ، وكلهم كان يصلح للخلافة بالفقه والنسك والمركب ، والرأي ، والتجربة ، والحال الرفيعة بين الناس : على بن الحسين بن على ، وعلى بن عبد الله بن العباس ، وعلى بن عبد الله بن جعفر ، كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعا .

وكانت لبابة بنت عبد الله بن العباس عند على بن عبد الله بن جعفر ، قالت : ما رأيته ضاحكا قط ولا قاطبا ، ولا قال شيئا احتاج إلى أن يعتذر منه ، ولا ضرب عبدا قط ، ولا ملكه أكثر من سنة .

قالوا : وبعد هؤلاء ثلاثة بنو عم ، وهم بنو هؤلاء الثلاثة ، وكلهم يسمى محمدا ، كما أن كل واحد من أولئك يسمى عليا ، وكلهم يصلح للخلافة ، بكرم النسب وشرف الخصال : محمد بن على بن الحسين بن على ، ومحمد بن على بن عبد الله بن العباس ، ومحمد بن على ابن عبد الله بن جعفر .

قالوا : كان محمد بن على بن الحسين لا يسمع المبتلى الاستعاذة ، وكان ينهى الجارية والغلام أن يقولا للمسكين : يا سائل ، وهو سيد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه ، وهو الملقب بالباقر ، باقر العلم ، لقبه به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخلق بعد ، وبشر به ، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته ، وقال : ستراه طفلا ، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام ، فعاش جابر حتى رآه ، وقال له ما وصي به .

وتوعد خالد بن عبد الله القسرى هشام بن عبد الملك في رسالة له إليه ، وقال : والله إنى لاعرف رجلا حجازي الاصل ، شآمي الدار ، عراقي الهوى ، يريد محمد بن على بن عبد الله بن العباس .

قالوا : وأما ما ذكرتم من أمر عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنا نذكر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهي سيدة نساء العالمين ، وأمها خديجة سيدة نساء العالمين ، وبعلها على بن أبي طالب سيد المسلمين كافة ، وابن عمها جعفر ذو الجناحين ، وذو الهجرتين ، وابناها الحسن والحسين سيدا

شباب أهل الجنة ، وجدهما أبو طالب بن عبد المطلب أشد الناس عارضة وشكيمة ، وأجودهم رأيا ، وأشهمهم نفسا ، وأمنعهم لما وراء ظهره ، منع النبي صلى الله عليه وآله من جميع قريش ، ثم بنى هاشم وبنى المطلب ، ثم منع بني إخوانه من بنى أخواته من بنى مخزوم الذين أسلموا ، وهو أحد الذين سادوا مع الاقلال ، وهو مع هذا شاعر خطيب .

ومن يطيق أن يفاخر بنى أبي طالب ، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهى أول هاشمية ولدت لهاشمي ، وهى التى ربي رسول الله في حجرها ، وكان يدعوها أمي ، ونزل في قبرها ، وكان يوجب حقها كما يوجب حق الام ! من يستطيع أن يسامى رجالا ولدهم هاشم مرتين من قبل ابيهم ومن قبل أمهم.

قالوا : ومن العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الاخر بعشر سنين : طالب ، وعقيل ،وجعفر، وعلى .

ومن الذى يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبيون عشرة في نسق ، كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك ، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون : ابن ابن ابن ابن ، هكذا إلى عشرة ، وهم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن علي علسهم السلام ، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم .

قالوا : فإن فخرتم بأن منكم اثنتين من أمهات المؤمنين : أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش ، فزينب امرأة من بنى أسد بن خزيمة ، ادعيتموه بالحلف لا بالولاده ، وفينا رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين ، محمد بن عبد الله بن الحسن المحض ، ولدته خديجة أم المؤمنين ، وأم سلمة أم المؤمنين ، وولدته مع ذلك فاطمة بنت الحسين بن على ، وفاطمة سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكان يقال خير النساء الفواطم والعواتك وهن أمهاته .

قالوا : ونحن إذا ذكرنا إنسانا فقبل أن نعد من ولده نأتى به شريفا في نفسه ، مذكورا بما فيه دون ما في غيره ، قلتم : لنا عاتكة بنت يزيد ، وعاتكة في نفسها كامرأة من عرض قريش ، ليس فيها في نفسها خاصة أمر تستوجب به المفاخرة .

ونحن نقول : منا فاطمة ، وفاطمة سيدة نساء العالمين ، وكذلك أمها خديجة الكبرى ، وانما تذكران مع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وآله وذكر إحداهما القرآن ، وهن المذكورات من جميع نساء العالم من العرب والعجم .

وقلتم لنا : عبد الله بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولده سبعة من الخلفاء ، وعبد الله هذا في نفسه ليس هناك ، ونحن نقول : منا محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، كلهم سيد ، وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس ، وإخوته داود وصالح وسليمان وعبد الله رجال كلهم أغر محجل ، ثم ولدت الرؤساء إبراهيم الامام وأخويه أبا العباس وأبا جعفر ، ومن جاء بعدهما من خلفاء بنى العباس .

وقلتم : منا عبد الله بن يزيد ، وقلنا : منا الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة ، وأولى الناس بكل مكرمة ، وأطهرهم طهارة ، مع النجدة والبصيرة والفقه والصبر والحلم والانف، وأخوه الحسن سيد شباب أهل الجنة ، وأرفع الناس درجة ، وأشبههم برسول الله خلقا وخلقا ، وأبوهما على بن أبي طالب.

قال شيخنا أبو عثمان : وهو الذى ترك وصفه أبلغ في وصفه ، إذ كان هذا الكتاب يعجز عنه ، ويحتاج إلى كتاب يفرد له ، وعمهما ذو الجناحين ، وأمهما فاطمة وجدتهما خديجة ، وأخوالهما القاسم وعبد الله وإبراهيم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم ، وجدتاهما آمنة بنت وهب والدة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وجدهما رسول الله صلى الله عليه وآله المخرس لكل فاخر ، والغالب لكل منافر ، قل ما شئت ، واذكر أي باب شئت من الفضل ، فإنك تجدهم قد حووه .

وقالت أمية : نحن لا ننكر فخر بنى هاشم وفضلهم في الاسلام ، ولكن لا فرق بيننا في الجاهلية ، إذ كان الناس في ذلك الدهر لا يقولون : هاشم وعبد شمس ، ولا هاشم وأمية ، بل يقولون : كانوا لا يزيدون في الجميع على عبد مناف ، حتى كان أيام تميزهم في أمر علي وعثمان في الشورى ، ثم ما كان في أيام تحزبهم وحربهم مع علي ومعاوية .

ومن تأمل الاخبار والاثار علم أنه ما كان يذكر فرق بين البيتين ، وإنما يقال : بنو عبد مناف ، أ لا ترى أن أبا قحافة سمع رجة شديدة ، وأصواتا مرتفعة ، وهو يومئذ شيخ كبير مكفوف ، فقال : ما هذا ؟

قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فما صنعت قريش ؟ قالوا : ولوا الامر ابنك ، قال : ورضيت بذلك بنو عبد مناف ؟ قالوا : نعم .

قال : ورضى بذلك بنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : فلا مانع لما أعطى الله ولا معطى لما منع ! ولم يقل: أ رضي بذلك بنو عبد شمس ؟ وإنما جمعهم على عبد مناف لانه كذلك كان يقال .

وهكذا قال أبو سفيان بن حرب لعلى عليه السلام ، وقد سخط إمارة أبي بكر : أ رضيتم يا بنى عبد مناف أن تلي عليكم تيم ! ولم يقل : أ رضيتم يا بنى هاشم ؟ وكذلك قال خالد بن سعيد بن العاص حين قدم من اليمن وقد استخلف أبو بكر : أ رضيتم معشر بنى عبد مناف أن تلى عليكم تيم ؟ قالوا : وكيف يفرقون بين هاشم وعبد شمس ، وهما أخوان لاب وأم ! ويدل على أن أمرهما كان واحدا ، وأن اسمهم كان جامعا ، قول النبي صلى الله عليه وآله وصنيعه حين قال : " منا خير فارس في العرب ، عكاشة بن محصن " وكان أسديا ، وكان حليفا لبنى عبد شمس ، وكل من شهد بدرا من بنى كبير بن داود كانوا حلفاء بنى عبد شمس ، فقال ضرار بن الازور الاسدي : ذاك منا يا رسول الله ، فقال عليه السلام : " بل هو منا بالحلف " ، فجعل حليف بنى عبد شمس حليف بنى هاشم ، وهذا بين لا يحتاج صاحب هذه الصفة إلى أكثر منه .

قالوا : ولهذا نكح هذا البيت في هذا البيت ، فكيف صرنا نتزوج بنات النبي وبنات بنى هاشم على وجه الدهر إلا ونحن أكفاء ، وأمرنا واحد ! وقد سمعتم إسحاق بن عيسى يقول لمحمد بن الحارث أحد بنى عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد لو لا حي أكرمهم الله بالرسالة ، لزعمت أنك أشرف الناس ، أ فلا ترى أنه لم يقدم علينا رهطه إلا بالرسالة ! قالت هاشم : قلتم : لو لا أنا كنا أكفاءكم لما أنكحتمونا نساءكم ، فقد نجد القوم يستوون في حسب الاب ، ويفترقون في حسب الانفس ، وربما استووا في حسب أبي القبيلة كاستواء قريش في النضر بن كنانة ، ويختلفون كاختلاف كعب بن لؤي ، وعامر بن لؤى ، وكاختلاف ابن قصي وعبد مناف وعبد الدار وعبد العزى ، والقوم قد يساوي بعضهم بعضا في وجوه ، ويفارقونهم في وجوه ، ويستجيزون بذلك القدر مناكحتهم ، وإن كانت معاني الشرف لم تتكامل فيهم كما تكاملت فيمن زوجهم ، وقد يزوج السيد ابن أخيه وهو حارض ابن حارض (1)

---

(1) الحارض : الرجل الرذل الفاسد .

على وجه صلة الرحم ، فيكون ذلك جائزا عندهم ، ولوجوه في هذا الباب كثيرة ، فليس لكم أن تزعموا أنكم أكفاؤنا من كل وجه ، وإن كنا قد زوجناكم وساويناكم في بعض الاباء والاجداد .

وبعد فأنتم في الجاهلية والاسلام قد أخرجتم بناتكم إلى سائر قريش وإلى سائر العرب ، أ فتزعمون أنهم أكفاؤكم عينا بعين ! وأما قولكم : إن الحيين كان يقال لهما عبد مناف فقد كان يقال لهما أيضا مع غيرهما من قريش وبنيها : بنو النضر .

وقال الله تعالى : " وأنذر عشيرتك الاقربين " ، فلم يدع النبي صلى الله عليه وآله أحدا من بنى عبد شمس ، وكانت عشيرته الاقربون بنى هاشم وبنى المطلب ، وعشيرته فوق ذاك عبد مناف وفوق ذلك قصي ، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما أتي بعبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن عبد شمس - وأم عامر بن كريز أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم - قال عليه السلام : هذا أشبه بنا منه بكم ، ثم تفل في فيه فازدرده ، فقال : أرجو أن تكون مشفيا ، فكان كما قال .

ففى قوله : " هو أشبه بنا منه بكم " خصلتان : إحداهما أن عبد شمس وهاشما لو كانا شيئا واحدا كما أن عبد المطلب شئ واحد لما قال : " هو بنا أشبه به منكم " ، والاخرى أن في هذا القول تفضيلا لبنى هاشم على بنى عبد شمس ، أ لا ترون أنه خرج خطيبا جوادا نبيلا وسيدا مشفيا ، له مصانع وآثار كريمة ، لانه قال : " وهو بنا أشبه به منكم " .

وأتي عبد المطلب بعامر بن كريز وهو ابن ابنته أم حكيم البيضاء فتأمله ، وقال : وعظام هاشم ما ولدنا ولدا أحرض منه ، فكان كما قال عبد الله يحمق ، ولم يقل : " وعظام عبد مناف " لان شرف جده عبد مناف له فيه شركاء ، وشرف هاشم أبيه خالص له .

فأما ما ذكرتم من قول أبي سفيان وخالد بن سعيد : أ رضيتم معشر بنى عبد مناف أن تلي عليكم تيم ! فإن هذه الكلمة كلمة تحريض وتهييج ، فكان الابلغ فيما يريد من اجتماع قلوب الفريقين أن يدعوهم لاب ، وأن يجمعهم على واحد ، وإن كانا مفترقين ، وهذا المذهب سديد ، وهذا التدبير صحيح.

قال معاوية بن صعصعة للاشهب بن رميلة ، وهو نهشلي وللفرزدق بن غالب ، وهو مجاشعي ولمسكن بن أنيف وهو عبدلي : أ رضيتم معشر بنى دارم أن يسب آباءكم ويشتم أعراضكم كلب بنى كليب ! وإنما نسبهم إلى دارم الاب الاكبر المشتمل على آباء قبائلهم ليستووا في الحمية ويتفقوا على الانف ، وهذا في مثل هذا الموضع تدبير صحيح .

قالوا : ويدل على ما قلنا ما قاله الشعراء في هذا الباب قبل مقتل عثمان وقبل صفين ، قال حسان بن ثابت لابي سفيان الحارث بن عبد المطلب : وأنت منوط نيط في آل هاشم * * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد لم يقل : " نيط في آل عبد مناف " .

وقال آخر : ما أنت من هاشم في بيت مكرمة * * ولا بني جمح الخضر الجلاعيد

ولم يقل : " ما أنت من آل عبد مناف " ، وكيف يقول هذا ، وقد علم الناس أن عبد مناف ولد أربعة : هاشما والمطلب وعبد شمس ونوفلا ، وأن هاشما والمطلب كانا يدا واحدة ، وأن عبد شمس ونوفلا كانا يدا واحدة ، وكان مما بطأ ببنى نوفل عن الاسلام إبطاء إخوتهم من بنى عبد شمس ، وكان مما حث بنى المطلب على الاسلام فضل محبتهم لبنى هاشم ، لان أمر النبي صلى الله عليه وآله كان بينا ، وإنما كانوا يمتنعون منه من طريق الحسد والبغضة ، فمن لم يكن فيه هذه العلة لم يكن له دون الاسلام مانع ، ولذلك لم يصحب النبي صلى الله عليه وآله من بنى نوفل أحد فضلا أن يشهدوا معه المشاهد الكريمة ، وإنما صحبه حلفاؤهم كيعلى بن منبه وعتبة بن غزوان وغيرهما ، وبنو الحارث بن المطلب كلهم بدرى : عبيد ، وطفيل ، وحصين ، ومن بنى المطلب مسطح بن أثاثة بدري .

وكيف يكون الامر كما قلتم وأبو طالب يقول لمطعم بن عدي بن نوفل في أمر النبي صلى الله عليه وآله ، لما تمالأت قريش عليه : جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * * جزاء مسئ عاجلا غير آجل أ مطعم إما سامني القوم خطة * * فإني متى أوكل فلست بآكل أ مطعم لم أخذلك في يوم شدة * * ولا مشهد عند الامور الجلائل ولقد قسم النبي صلى الله عليه وآله قسمة فجعلها في بنى هاشم وبنى المطلب ، فأتاه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، فقالا له : يا رسول الله ، إن قرابتنا منك وقرابة بنى المطلب واحدة ، فكيف

أعطيتهم دوننا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : " إنا لم نزل وبنى المطلب كهاتين " ، وشبك بين أصابعه ، فكيف تقولون : كنا شيئا واحدا ، وكان الاسم الذى يجمعنا واحدا !

ثم نرجع إلى افتخار بنى هاشم ، قالوا : وإن كان الفخر بالايد والقوة ، واهتصار الاقران ومباطشة الرجال ، فمن أين لكم كمحمد بن الحنفية ، وقد سمعتم أخباره وأنه قبض على درع فاضلة ، فجذبها فقطع ذيلها ما استدار منه كله .

وسمعتم أيضا حديث الايد القوى الذى أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب ، وأن محمدا قعد له ليقيمه فلم يستطع ، فكأنما يحرك جبلا ، وأن الرومي قعد ليقيمه محمد فرفعه إلى فوق رأسه ثم جلد به الارض ، هذا مع الشجاعة المشهورة ، والفقه في الدين ، والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والاخبار عن الغيوب ، حتى ادعي له أنه المهدي ، وقد سمعتم أحاديث أبي إسحاق المعتصم ، وأن أحمد بن أبي دواد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه ، وأنه قال : ما أظن الاسنة ولا السهام تؤثر في جسده ، وسمعتم ما قيل في عبد الكريم المطيع ، وأنه جذب ذنب ثور فاستله من بين وركيه .

وإن كان الفخر بالبشر وطلاقة الاوجه وسجاحة الاخلاق ، فمن مثل على بن أبي طالب عليه السلام وقد بلغ من سجاحة خلقه وطلاقة وجهه أن عيب بالدعابة ! ومن الذى يسوى بين عبد شمس وبين هاشم في ذلك ! كان الوليد جبارا ، وكان هشام شرس الاخلاق ، وكان مروان بن محمد لا يزال قاطبا عابسا ، وكذلك كان يزيد بن الوليد الناقص ، وكان المهدى المنصور أسرى خلق الله وألطفهم خلقا ، وكذلك محمد الامين وأخوه المأمون ، وكان السفاح يضرب به المثل في السرو وسجاحة الخلق .

قالوا : ونحن نعد من رهطنا رجالا لا تعدون أمثالهم أبدا فمنا الامراء بالديلم الناصر الكبير ، وهو الحسن الاطروش بن على بن الحسن بن عمر بن على بن عمر الاشرف بن زيد العابدين ، وهو الذى أسلمت الديلم على يده ، والناصر الاصغر وهو أحمد بن يحيى بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا ، وأخوه محمد بن يحيى ، وهو الملقب بالمرتضى ، وأبوه يحيى بن الحسن وهو الملقب بالهادي .

ومن ولد الناصر الكبير الثائر ، وهو جعفر ابن محمد بن الحسن الناصر الكبير ، وهم الامراء بطبرستان وجيلان وجرجان ومازندران وسائر ممالك الديلم ، ملكوا تلك الاصقاع مائة وثلاثين سنة ، وضربوا الدنانير والدراهم بأسمائهم ، وخطب لهم على المنابر ، وحاربوا الملوك السامانية ، وكسروا جيوشهم ، وقتلوا أمراءهم ، فهؤلاء واحدهم أعظم كثيرا من ملوك بنى أمية ، وأطول مدة وأعدل وأنصف وأكثر نسكا وأشد حضا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وممن يجرى مجراهم الداعي الاكبر والداعى الاصغر ملكا الديلم ، قادا الجيوش .

واصطنعا الصنائع .

قالوا : ولنا ملوك مصر وإفريقية ، ملكوا مائتين وسبعين سنة ، فتحوا الفتوح واستردوا ما تغلب عليه الروم من مملكة الاسلام ، واصطنعوا الصنائع الجليلة .

ولهم الكتاب والشعراء والامراء والقواد ، فأولهم المهدي عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب وآخرهم العاضد ، وهو عبد الله بن الامير أبي القاسم بن الحافظ أبي الميمون بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبد العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى ، فإن افتخرت الاموية بملوكها في الاندلس من ولد هشام بن عبد الملك ، واتصال ملكهم وجعلوهم بإزاء ملوكنا بمصر وإفريقية ، قلنا لهم : ألا أنا نحن أزلنا ملككم بالاندلس ، كما أزلنا ملككم بالشام والمشرق كله ، لانه لما ملك قرطبة الظافر من بنى أمية وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الملقب بالناصر ، خرج عليه على بن حميد بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام ، فقتله ، وأزال ملكه .

وملك قرطبه دار ملك بنى أمية ، ويلقب بالناصر .

ثم قام بعده أخوه القاسم بن حمود ، ويلقب بالمعتلى ، فنحن قتلناكم وأزلنا ملككم في المشرق والمغرب ، ونحن لكم على الرصد حيث كنتم ، اتبعناكم فقتلناكم وشردناكم كل مشرد ، والفخر للغالب على المغلوب ، بهذا قضت الامم قاطبة .

قالوا : ولنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله ، منا يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس، كان شجاعا جريئا وهو الذى ولي الموصل لاخيه السفاح فاستعرض أهلها حتى ساخت الاقدام في الدم. ومنا يعقوب بن إبراهيم بن عيسى بن أبي جعفر المنصور ، كان شاعرا فصيحا ، وهو المعروف بأبي الاسباط ، ومنا محمد وجعفر ابنا سليمان بن على ، كانا أعظم من ملوك بنى أمية ، وأجل قدرا وأكثر أموالا ومكانا عند الناس .

وأهدى محمد بن سليمان من البصرة إلى الخيزران مائة وصيفة في يد كل واحدة منهن جام من ذهب وزنه ألف مثقال ، مملوء مسكا ، وكان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصة ، فكم يكون ليت شعرى غيرهم من البيض ومن الاماء ، وما رئى جعفر بن سليمان راكبا قط إلا ظن أنه الخليفة.

ومن رجالنا محمد بن السفاح ، كان جوادا أيدا شديد البطش ، قالوا : ما رئي أخوان أشد قوة من محمد وريطة أخته ولدى أبي العباس السفاح ، كان محمد يأخذ الحديد فيلويه فتأخذه هي فترده .

ومن رجالنا محمد بن إبراهيم طباطبا صاحب أبي السرايا ، كان ناسكا عابدا فقيها عظيم القدر عند أهل بيته وعند الزيدية .

ومن رجالنا عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، وهو الذى شيد ملك المنصور وحارب ابني عبد الله بن حسن ، وأقام عمود الخلافة بعد اضطرابه ، وكان فصيحا أديبا شاعرا .

ومن رجالنا عبد الوهاب بن إبراهيم الامام ، حج بالناس وولي الشام ، وكان فصيحا خطيبا .

ومن رجالنا عبد الله بن موسى الهادى ، كان أكرم الناس وجوادا ممدوحا أديبا شاعرا ، وأخوه عيسى بن موسى الهادى ، كان أكرم الناس ، وأجود الناس ، كان يلبس الثياب ، وقد حدد ظفره فيخرقها بظفره لئلا تعاد إليه .

وعبد الله بن أحمد بن عبد الله بن موسى الهادى ، وكان أديبا ظريفا .

ومن رجالنا عبد الله بن المعتز بالله ، كان أوحد الدنيا في الشعر والادب والامثال الحكمية والسؤدد والرياسة ، كان كما قيل فيه لما قتل : لله درك من ميت بمضيعة * * ناهيك في العلم والاشعار والخطب ما فيه لو ولا لو لا فتنقصه * * وإنما أدركته حرفة الادب ومن رجالنا النقيب أبو أحمد الحسين بن موسى شيخ بنى هاشم الطالبيين والعباسيين في عصره ، ومن أطاعه الخلفاء والملوك في

أقطار الارض ورجعوا إلى قوله ، وابناه على ومحمد وهما المرتضى والرضى ، وهما فريدا العصر في الادب والشعر والفقه والكلام ، وكان الرضى شجاعا أديبا شديد الانف .

ومن رجالنا القاسم بن عبد الرحيم بن عيسى بن موسى الهادى ، كان شاعرا ظريفا .

ومن رجالنا القاسم بن إبراهيم طباطبا .

صاحب المصنفات والورع والدعاء إلى الله والى التوحيد والعدل ومنابذة الظالمين ، ومن أولاده أمراء اليمن .

ومن رجالنا محمد الفأفاء بن إبراهيم الامام ، كان سيدا مقدما ، ولى الموسم وحج بالناس ، وكان الرشيد يسايره ، وهو مقنع بطيلسانه .

ومن رجالنا محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين صاحب أبي السرايا ، ساد حدثا ، وكان شاعرا أديبا فقيها ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولما أسر وحمل إلى المأمون أكرمه وأفضل عليه ، ورعى له فضله ونسبه .

ومن رجالنا موسى بن عيسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، كنيته أبو عيسى ، وهو أجل ولد عيسى وأنبلهم ، ولي الكوفة وسوادها زمانا طويلا للمهدى ، ثم الهادى ، وولي المدينة وإفريقية ومصر للرشيد ، قال له ابن السماك لما رأى تواضعه : إن تواضعك في شرفك لاحب إلى من شرفك ، فقال موسى : إن قومنا - يعني بنى هاشم - يقولون : إن التواضع أحد مصائد الشرف .

ومن رجالنا موسى بن محمد أخو السفاح والمنصور ، كان نبيلا عندهم ، هو وإبراهيم الامام لام واحدة ، رأى في منامه قبل أن يصير من أمرهم ما صار أنه دخل بستانا فلم يأخذ إلا عنقودا واحدا عليه من الحب المتراص ما ربك به عليم ، فلم يولد له إلا عيسى ، ثم ولد لعيسى من ظهره أحد وثلاثون ذكرا وعشرون أنثى .

ومن رجالنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام ، وهو عبد الله المحض، وأبوه الحسن بن الحسن ، وأمه فاطمة بنت الحسين ، وكان إذا قيل : من أجمل الناس ؟ قالوا : عبد الله بن الحسن ، فإذا قيل : من أكرم الناس ؟ قالوا : عبد الله ابن الحسن ، فإذا قالوا : من أشرف الناس ؟ قالوا : عبد الله بن الحسن .

ومن رجالنا أخوه الحسن بن الحسن ، وعمه زيد بن الحسن وبنوه محمد وإبراهيم وموسى ويحيى ، أما محمد وإبراهيم فأمرهما مشهور ، وفضلهما غير مجحود ، في الفقه والادب والنسك والشجاعة والسؤدد .

وأما يحيى صاحب الديلم فكان حسن المذهب والهدى ، مقدما في أهل بيته ، بعيدا مما يعاب على مثله ، وقد روى الحديث وأكثر الرواية عن جعفر بن محمد ، وروى عن أكابر المحدثين ، وأوصى جعفر بن محمد إليه لما حضرته الوفاة وإلى ولده موسى بن جعفر .

وأما موسى بن عبد الله بن الحسن ، فكان شابا نجيبا صبورا شجاعا سخيا شاعرا .

ومن رجالنا الحسن المثلث ، وهو الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام كان متألها فاضلا ورعا ، يذهب في الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مذهب أهله .

وإبراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب علسه السلام ، كان مقدما في أهله ، يقال : أنه أشبه أهل زمانه برسول الله صلى الله عليه وآله .

ومن رجالنا عيسى بن زيد ، ويحيى بن زيد أخوه ، وكانا أفضل أهل زمانهما شجاعة وزهدا وفقها ونسكا .

ومن رجالنا يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد صاحب الدعوة .

كان فقيها فاضلا شجاعا فصيحا شاعرا ، ويقال : أن الناس ما أحبوا طالبيا قط دعا إلى نفسه حبهم يحيى ، ولا رثي أحد منهم بمثل ما رثى به .

قال أبو الفرج الاصفهانى : كان يحيى فارسا شجاعا شديد البدن ، مجتمع القلب ، بعيدا عن زهو الشباب وما يعاب به مثله ، كان له عمود حديد ثقيل يصحبه في منزله ، فإذا سخط على عبد أو أمة من حشمه لواه في عنقه فلا يقدر أحد أن يحله عنه حتى يحله هو.

ومن رجالنا محمد بن القاسم بن على بن عمر بن الحسين بن على بن أبي طالب عليه السلام صاحب الطالقان ، لقب بالصوفى لانه لم يكن يلبس إلا الصوف الابيض ، وكان عالما فقيها ، دينا زاهدا ، حسن المذهب ، يقول بالعدل والتوحيد .

ومن رجالنا محمد بن على بن صالح بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن على بن أبي طالب علسه السلام .

كان من فتيان آل أبي طالب و فتاكهم وشجعانهم وظرفائهم وشعرائهم ، وله شعر لطيف محفوظ .

ومنهم أحمد بن عيسى بن زيد ، كان فاضلا عالما مقدما في عشيرته ، معروفا بالفضل ، وقد روى الحديث وروي عنه .

ومن رجالنا موسى بن جعفر بن محمد - وهو العبد الصالح - جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر .

وابنه على بن موسى المرشح للخلافة ، والمخطوب له بالعهد ، كان أعلم الناس ، وأسخى الناس ، وأكرم الناس أخلاقا .

قالوا : وأما ما ذكرتم من أمر الشجرة الملعونة ، فإن المفسرين كلهم قالوا ذلك ورووا فيه أخبارا كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله ، ولستم قادرين على جحد ذلك ، وقد عرفتم تأخركم عن الاسلام وشدة عداوتكم للرسول الداعي إليه ، ومحاربتكم في بدر وأحد والخندق ، وصدكم الهدى عن البيت ، وليس ذلك مما يوجب أن يعمكم اللعن حتى لا يغادر واحدا ، فإن زعم ذلك زاعم فقد تعدى .

وأما اختصاص محمد بن على بالوصية والخلافة دون إخوته ، فقد علمتم أن وراثة السيادة والمرتبة ليس من جنس وراثة الاموال ، أ لا ترى أن المرأة والصبي والمجنون يرثون الاموال ولا يرثون المراتب ! وسواء في الاموال ، كان الابن حارضا بائرا ، أو بارعا جامعا .

وقيل : وراثة المقام سبيل وراثة اللواء ، دفع رسول الله صللى الله عليه وآله لواء بنى عبد الدار إلى مصعب بن عمير ، ودفع عمر بن الخطاب لواء بنى تميم إلى وكيع بن بشر ، ثم دفعه إلى الاحنف حين لم يوجد في بنى زرارة من يستحق وراثة اللواء ، فإن كان الامر بالسن فإنما كان بين محمد بن على وأبيه على بن عبد الله أربع عشرة سنة ، كان علي يخضب بالسواد ، ومحمد يخضب بالحمرة ، فكان القادم يقدم عليهما ، والزائر يأتيهما ، فيظن أكثرهم أن محمدا هو على ، وأن عليا هو محمد ، حتى ربما قيل لعلي : كيف أصبح الشيخ من علته ؟ ومتى رجع الشيخ إلى منزله ؟ وأخرى أن أمه كانت

العالية بنت عبد الله بن العباس ، فقد ولده العباس مرتين ، وولده جواد بنى العباس كما والده خيرهم وحبرهم ، ولم يكن لاحد من إخوته مثل ذلك .

وكان بعض ولد محمد أسن من عامة ولد علي ، وولد محمد المهدى بن عبد الله المنصور والعباس بن محمد بن على في عام واحد ، وكذلك محمد بن سليمان بن على ، ولم يكن لاحد من ولد على بن عبد الله بن العباس - وإن كانوا فضلاء نجباء كرماء نبلاء - مثل عقله ولا كجماله ، كان إذا دخل المدينة ومكة جلس الناس على أبواب دورهم والنساء على سطوحهن للنظر إليه ، والتعجب من كماله وبهائه ، وقد قاتل إخوته أعداءه في دفع الملك إلى ولده غير مكرهين ولا مجبرين ، على أن محمدا إنما أخذ الامر عن أساس مؤسس ، وقاعدة مقررة ، ووصية انتقلت إليه من أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وأخذها أبو هاشم عن أبيه محمد ، وأخذها محمد عن على بن أبي طالب أبيه .

قالوا : لما سمت بنو أمية أبا هاشم مرض فخرج من الشام وقيذا يؤم المدينة ، فمر بالحميمة وقد أشفى ، فاستدعى محمد بن على بن عبد الله بن العباس فدفع الوصيه إليه ، وعرفه ما يصنع وأخبره بما سيكون من الامر ، وقال له : إنى لم أدفعها إليك من تلقاء نفسي ، ولكن أبي أخبرني عن أبيه على بن أبي طالب عليه السلام بذلك ، وأمرني به ، وأعلمنى بلقائي أياك في هذا المكان ، ثم مات فتولى محمد بن على تجهيزه ودفنه وبث الدعاة حينئذ في طلب الامر ، وهو الذى قال لرجال الدعوة ، والقائمين بأمر الدولة ، حين اختارهم للتوجه ، وانتخبهم للدعاء ، وحين قال بعضهم : ندعو بالكوفة ، وقال بعضهم : بالبصرة .

وقال بعضهم : بالجزيرة ، وقال بعضهم : بالشام .

وقال بعضهم : بمكة وقال بعضهم بالمدينة .

واحتج كل انسان لرأيه ، واعتل لقوله - فقال محمد : أما الكوفة وسوادها فشيعه علي وولده ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكف ، وقبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق ، ولا يعينون أحد ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة ، والخارجية فيهم فاشيه ، وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان ، وطاعة بنى مروان ، عداوة راسخة ، وجهلا متراكما ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، وليس يتحرك معنا في أمرنا هذا منهم أحد ، ولا يقوم

بنصرنا إلا شيعتنا أهل البيت ، ولكن عليكم بخراسان ، فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، و صدورا سليمة ، وقلوبا مجتمعة ، لم تتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة ، ولا هدم فيها فساد ، وليس لهم اليوم همم العرب ، ولا فيهم تجارب كتجارب الاتباع مع السادات ، ولا تحالف كتحالف القبائل ، ولا عصبية كعصبية العشائر ، وما زالوا ينالون ويمتهون ، ويظلمون فيكظمون ، وينتظرون الفرج ، ويؤملون دولة ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ، ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى ، وشوارب وأصوات هائلة ، ولغات فخمة ، تخرج من أجواف منكرة .

وبعد ، فكأني أتفاءل جانب المشرق فإن مطلع الشمس سراج الدنيا ، ومصباح هذا الخلق .

فجاء الامر كما دبر ، وكما قدر ، فإن كان الرأي الذى رأى صوابا فقد وافق الرشاد ، وطبق المفصل ، وإن كان ذلك عن رواية متقدمة ، فلم يتلق تلك الرواية إلا عن نبوة .

قالوا : وأما قولكم : إن منا رجلا مكث أربعين سنة أميرا وخليفة ، فإن الامارة لا تعد فخرا مع الخلافة ، ولا تضم إليها ، ونحن نقول : إن منا رجلا مكث سبعا وأربعين سنة خليفة ، وهو أحمد الناصر بن الحسن المستضئ ، ومنا رجل مكث خمسا وأربعين سنة خليفة ، وهو عبد الله القائم ومكث أبوه أحمد القادر ثلاثا وأربعين سنة خليفة ، فملكهما أكثر من ملك بنى أمية كلهم ، وهم أربع عشرة خليفة .

ويقول الطالبيون : منا رجل مكث ستين سنة خليفة وهو معد بن الطاهر صاحب مصر ، وهذه مدة لم يبلغها خليفة ولا ملك من ملوك العرب في قديم الدهر ولا في حديثه .

وقلتم : لنا عاتكد بنت يزيد يكتنفها خمسة من الخلفاء ، ونحن نقول : لنا زبيدة قالوا : وأما قولكم : إن منا رجلا مكث أربعين سنة أميرا وخليفة ، فإن الامارة لا تعد فخرا مع الخلافة ، ولا تضم إليها ، ونحن نقول : إن منا رجلا مكث سبعا وأربعين سنة خليفة ، وهو أحمد الناصر بن الحسن المستضئ ، ومنا رجل مكث خمسا وأربعين سنة خليفة ، وهو عبد الله القائم ومكث أبوه أحمد القادر ثلاثا وأربعين سنة خليفة ، فملكهما أكثر من ملك بنى أمية كلهم ، وهم أربع عشرة خليفة .

ويقول الطالبيون : منا رجل مكث ستين سنة خليفة وهو معد بن الطاهر صاحب مصر ، وهذه مدة لم يبلغها خليفة ولا ملك من ملوك العرب في قديم الدهر ولا في حديثه .

وقلتم : لنا عاتكد بنت يزيد يكتنفها خمسة من الخلفاء ، ونحن نقول : لنا زبيدة بنت جعفر يكتنفها ثمانية من الخلفاء ، جدها المنصور خليفة ، وعم أبيها السفاح خليفة وعمها المهدى خليفة ، وابن عمها الهادى خليفة ، وبعلها الرشيد خليفة ، وابنها الامين خليفة ، وابنا بعلها المأمون والمعتصم خليفتان .

قالوا : وأما ما ذكرتموه من الاعياص والعنابس فلسنا نصدقكم فيما زعمتموه أصلا بهذه التسمية ، وإنما سموا الاعياص لمكان العيص وأبي العيص والعاص وأبي العاص ، وهذه أسماؤهم ، الاعلام ليست مشتقة من أفعال لهم كريمة ولا خسيسة .

وأما العنابس ، فإنما سموا بذلك لان حرب بن أمية كان اسمه عنبسة ، وأما حرب فلقبه ، ذكر ذلك النسابون ، ولما كان حرب أمثلهم سموا جماعتهم باسمه ، فقيل : العنابس ، كما يقال : المهالبة والمناذرة ، ولهذا المعنى سمي أبو سفيان بن حرب بن عنبسة ، وسمي سعيد بن العاص ابن عنبسة .

رسالة النابتة

[لشيخانا الجاحظ المعتزلي رحمه الله]

بسم الله الرحمن الرحيم

أطال الله بقاءك، وأتمّ نعمته عليك، وكرامته لك.

اعلمْ، أرشد الله أمرك، أنَّ هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليّتها إلى طبقاتٍ متفاوتة، ومنازل مختلفة: فالطبقة الأولى: عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعُمر رضي الله عنهما، وستٌّ سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه؛ كانوا على التوحيد الصحيح والإخلاص المخلص، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة. وليس هناك عملٌ قبيحٌ ولا بدعةٌ فاحشة، ولا نزْع يدٍ من طاعةٍ، ولا حسدٌ ولا غلٌّ ولا تأوُّل، حتى كان الذي كان من قتل عثمان رضي الله عنه وما انْتُهك منه، ومن خبْطهم إيَّاه بالسلاح، وبعْج بطنه بالحراب، وفرى أوداجه بالمشاقص، وشدْخ هامته بالعمد، مع كفِّه عن البسْط، ونهيه عن الامتناع، مع تعريفه لهم قبل ذلك من كم وحهٍ يجوز قتْل من شهد الشهادة، وصلَّى القبلة، وأكل الذَّبيحة؛ ومع ضرب نسائه بحضْرته، وإقحام الرِّجال على حرمته، مع اتِّقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها، حتى أطنّوا إصبعين من أصابعها، وقد كشفت عن قناعها، ورفعت عن ذيلها؛ ليكون ذلك ردْعاً لهم، وكاسراً من عزمهم؛ مع وطْئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجرداً بعد سحبه، وهي الجزرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفواً لبناته وأياماه وعقائله؛ بعد السّبِّ والتعطيش، والحصْر الشديد، والمنع من القوت؛ مع احتجاجه عليهم، وإفحامه لهم، ومع اجتماعهم على أنَّ دم الفاسق حرامٌ كدم المؤمن، إلا من ارتد بعد إسلام، أو زنى بعد إحصان، أو قتل مؤمناً على عمدٍ، أو رجلٌ عدا على الناس بسيفه فكان في امتناعهم منه عطبُه؛ ومع إجماعهم على ألا يُقتل من هذه الأمة مُولٍّ، ولا يجهز منها على جريح.

ثم مع ذلك كلِّه دمروا عليه وعلى أزواجه وحُرمه، وهو جالسٌ في محرابه، ومصحفه يلوح في حجره، لن يرى أنَّ موحداً يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله.

لا جرم لقد احتلبوا به دماً لا تطير رغوته، ولا تسكن فورته، ولا يموت ثائره، ولا يكلّ طالبه. وكيف يضيع دمٌ الله وليّه والمنتقم له؟! وما سمعنا بدمٍ بعد دم يحيى بن زكريا عليه السلام غلا غليانه، وقتل سافحه، وأدرك بطائلته، وبلغ كلّ محْنته، كدمه الله عليه.

ولقد كان لهم في أخْذه وفي إقامته للناس والاقتصاص منه، وفي بيع ما ظهر من رباعه وحدائقه وسائر أمواله، وفي حَبْسه بما بقي عليه، وفي طمْره حتَّى لا يُحسّ بذكره، ما يُغنيهم عن قتله إنْ كان قد ركب كُلَّ ما قفوه به، وادَّعوه عليه.

وهذا كلُّه بحضرة جلَّة المهاجرين، والسّلف المقدَّمين، والأنصار والتابعين.

ولكن الناس كانوا على طبقاتٍ مختلفة، ومراتب متباينة: من قاتلٍ، ومن شادٍّ على عضده، ومن خاذلٍ عن نصرته. والعاجز ناصرٌ بإرادته، ومطيعٌ بحسن نّيته. وإنَّما الشّكُّ منَّا فيه وفي خاذله، ومن أراد عزله والاستبدال به. فأمّا قاتله والمعين على دمه والمريد لذلك منه، فضُلاَّلٌ لا شكَّ فيهم، ومُرّاقٌ لا امتراء في حكمهم. على أنَّ هذا لم يَعُدْ منهم الفجور، إمَّا على سوء تأويل، وإما على تعمّد للشَّقاء.

ثمَّ مازالت الفتن متَّصلة، والحروب مترادفة، كحرب الجمل، وكوقائع صفّين، وكيوم النَّهْروان، وقبل ذلك يوم الزَّابوقة وفيه أُسر ابن حُنيف وقتل حكيم بن جبلة.

إلى أن قتل أشقاها عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فأسعده الله بالشهادة، وأوجب لقاتله النار واللَّعنة.

إلى أنْ كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور، عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلوّنهم عليه.

فعندها استوى معاوية على الملك، واستبدَّ على بقيّة الشُّورى، وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سَمَّوْه عام الجماعة وما كان عام جماعةٍ، بل كان عام فُرْقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحّلت فيه الإمامة مُلكاً كسرويّاً، والخلافة غصْباً وقيصريّاً، ولم يَعْد ذلك أجمع الضَّلال والفسق.

ثمّ مازالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتَّبنا، حتَّى ردَّ قضيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّاً مكشوفاً، و جحد حُكمه جحداً ظاهرا، في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع إجماع الأمّة أنَّ سُميّة لم تكن لأبي سُفيان فراشاً، وأنَّه إنَّما كان بها عاهراً؛ فخرج بذلك من حُكم الفُجّار إلى حكم الكفَّار.

وليس قتل حُجْر بن عديّ، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعته يزيد الخليع، والاستئثار بالفئ، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشَّفاعة والقرابة، من جنْس جَحْد الأحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسّنن المنصوبة.

وسواءٌ في باب ما يستحقُّ من الإكفار جحد الكتاب وردُّ السنة؛ إذْ كانت السنَّة في شُهرة الكتاب وظهوره، إلاَّ أنَّ أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليه أشدّ.

فهذه أوَّلُ كفرةٍ كانت في الأمة.

ثم لم تكن إلاَّ فيمنْ يدَّعي إمامتها، والخلافة عليها.

على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره. وقد أربتْ عليهم نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا فقالت: لا تسبّوه فإنَّ له صُحبة؛ وسبّ معاوية بدعة، ومن يبغضْه فقد خالف السّنَّة.

فزعمت أنَّ من السُنّة ترك البراءة ممن جحد السُنَّة.

ثم الذي كان من يزيد ابنه ومن عُمّاله وأهل نُصرته، ثم غزو مكّة، ورمي الكعبة، واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام في أكثر أهل بيته مصابيح الظلام، وأوتاد الإسلام؛ بعد الذي أعطى من نفسه من تفريق أتْباعه، والرجوع إلى داره وحرمه، أو الذَّهاب في الأرض حتى لا يُحسَّ به، أو المقام حيث أمر به، فأبوا إلاَّ قَتْله والنَّزول على حكمهم.

وسواء قتل نفسه بيده، أو أسلمها إلى عدوِّه وخيّر فيها من لا يبرد غليله إلاَّ بُشرْب دمه.

فاحسبوا قتله ليس بكفر، وإباحة المدينة وهتك الحُرمة ليس بحجّة، كيف تقولون في رمْي الكعبة، وهدم البيت الحرام، وقبْلة المسلمين؟ فإنْ قلتم: ليس ذلك أرادوا، بل إنما أرادوا المتحرَز به والمتحصِّن بحيطانه. أفما كان من حقِّ البيت وحريمه أن يحصروه فيه إلى أن

يُعطى بيده، وأيُّ شيءٍ بقي من رجلٍ قد أخذت عليه الأرض إلاَّ موضع قدمه.

واحسُبْ ما رووا عليه من الأشعار التي قولُها شِرك، والتمثُّل بها كفر، شيئاً مصنوعاً، كيف يُصنع بنَقْر القضيب بين ثَنيّتي الحسين عليه السلام، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأقتاب العارية والإبل الصِّعاب، والكشف عن عورة عليَ بن الحسين عند الشَّكِّ في بلوغه على أنَّهم إنْ وجدوه وقد أنبت قتلوه، وإن لم يكن أنبت حملوه، كما يصنع أمير جيش المسلمين بذراري المشركين؟ وكيف تقولون في قول عبيد الله بن زياد لإخوته وخاصَّته: دعوني أقتلْه فإنَّه بقيّة هذا النَّسل، فأحسم به هذا القرْن، وأُميت به هذا الدَّاء، وأقطع به هذه المادَّة.

خبِّرونا على ما تدلُّ هذه القسوة وهذه الغلطة، بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم، ونالوا ما أحبّوا فيهم. أتدلُّ على نصبٍ وسوء رأيٍ وحقدِ وبغْضاء ونفاق، وعلى يقينٍ مدخول وإيمان ممزوج، أم تدلُّ على الإخلاص وعلى حبِّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحفظ له، وعلى براءة السّاحة وصحّة السّريرة؟ فإن كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضَّلال - وذلك أدنى منازله - فالفاسق معلونٌ، ومن نهى عن لَعْن الملعون فملعون.

وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا، أنَّ سبّ ولاة السّوء فتنة، ولعن الجورة بدعة، وإنْ كانوا يأخذون السّميَ بالسّميَ، والوليّ بالوليَ، والقريب بالقريب، وأخافوا الأولياء، وآمنوا الأعداء، وحكموا بالشفاعة والهوى، وإظهار القدرة، والتهاون بالأمّة، والقمع للرعيّة، وأنهم في غير مداراة ولا تقيّة، وإنْ عدا ذلك إلى الكفر، وجاوز الضَّلال إلى الجحد، فذاك أضلُّ لمن كفَّ عن شتْمهم والبراءة منهم.

على أنَّه ليس من استحقَّ اسم الكفر بالقتل كمن استحقَّه بردِّ السنَّة وهدم الكعبة. وليس من استحقَّ الكفر بالتشبيه كمن استحقَّه بالتجوير.

والنَّابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه، وابن زيادِ وأبيه.

ولو ثبت أيضاً على يزيد أنَّه تمثَّل بقوله ابن الزِّبعْري:

ليت أشياخي ببدرِ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسلْ

لاستطاروا واستهلّوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيدا لا تسلْ

قد قتلنا الغرّ من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدرِ فاعتدل

كان تجوير النَّابتيَ لربِّه، وتشبيهه بخلقه، أعظم من ذلك وأفْظع.

على أنَّهم مجمعون على أنَّه ملعونٌ من قتل مؤمناً متعمِّداً أو متأوِّلا. فإذا كان القاتل سُلطاناً جائرا، أو أمير عاصياً، لم يستحلُّوا سبّه ولا خَلْعه، ولا نفيه ولا عيبه، وإنْ أخاف الصَّلحاء وقتل الفقهاء، وأجاع الفقير وظلم الضعيف، وعطَّل الحدود والثُّغور، وشرب الخمور وأظهر الفجور.

ثم مازال الناس يتسكعون مرّةً ويداهنونهم مرّة، ويقاربونهم مرة ويشاركونهم مرّة، إلاّ بقيّةً ممن عصى الله تعالى ذكره، حتَّى قام عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، وعاملهما الحجّاج بن يوسف، ومولاه يزيد بن أبي مُسّلم، فأعادوا على البيت بالهدْم، وعلى حرم المدينة بالغزْو، فهدموا الكعبة، واستباحوا الحُرْمة، وحوّلوا قبلة واسط، وأخرّوا صلاة الجمعة إلى مُغيربان الشَّمس. فإن قال رجلٌ لأحدٍ منهم: اتّق الله فقد أخَّرت الصلاة عن وقتها، قتله على هذا القول جهاراً غير ختْل، وعلانيةً غير سرّ. ولا يُعلم القتل على ذلك إلاّ أقبح من إنكاره، فكيف يكفر العبد بشيءٍ ولا يكفر بأعظم منه؟ وقد كان بعض الصَّالحين ربّما وعظ بعض الجبابرة، وخوّفه العواقب، وأراه أنَّ في الناس بقيّةً ينهون عن الفساد في الأرض، حتَّى قام عبد الملك بن مرْوان والحجاج بن يوسف، فزجرا عن ذلك وعاقبا عليه، وقتلا فيه، فصاروا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه.

فاحسبْ أنَّ تحويل القبلة كان غلطاً، وهدم البيت كان تأويلا، واحسب ما رووا من كلِّ وجه أنَّهم كانوا يزعمون أنَّ خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم، باطلاً ومصنوعاً مولَّداً. واحسبْ وسْم أيدي المسلمين ونقْش أيدي المسلمات، وردّهم بعد الهجرة إلى القُرى، وقتل الفقهاء، وسبّ أئمَّة الهدى، والنَّصْب لعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يكون كفراً، كيف نقول في جمع ثلاث صلواتٍ فيهنَّ الجمعة ولا يصلُّون أولاهنَّ حتَّى تصير الشمس على أعالي الجدران كالملاء المعصفر. فأن نطق مسلمٌ خبط السّيف، وأخذته العمد، وشكَّ بالرِّماح.

وإن قال قائلٌ: اتَّق الله، أخذته العزَّة بالآثم، ثمّ لم يرض إلاَّ بنثر دماغه على صدره، وبصلبه حيث تراه عياله.

ومما يدلُّ على أنَّ القوم لم يكونوا إلاَّ في طريق التمرّد على الله عزَّ وجلَّ، والاستخفاف بالدِّين، والتَّهاون بالمسلمين، والابتذال لآهل الحقّ، أكْلُ أمرائهم الطَّعام، وشُربُهم الشَّراب، على منابرهم أيّلم جُمعهم وجموعهم. فعل ذلك حُبيش بن دُلْجة، وطارقٌ مولى عثمان، والحجَّاج بن يوسف وغيرهم.

وذلك إنْ كان كفراً كلّه فلم يبلغ كفر نابتة عصرنا، وروافض دهرنا؛ لأنَّ جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك.

كان اختلاف الناس في القدر على أنَّ طائفةً تقول: كلُّ شيء بقضاء وقدر، وتقول الطائفة الأخرى: كل شيءٍ بقضاء وقدر إلاَّ المعاصي. ولم يكن أحدٌ يقول إنَّ الله يعذِّب الأبناء ليغيظ الآباء، وإنَّ الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى والبصر. وكانت طائفةٌ منهم تقول إنَّ الله لا يرى، لا تزيد على ذلك، فإنْ خافت أنْ يُظنَّ بها التشبيه قالت يُرى بلا كيفٍ، تعرِّياً من التَّجسيم والتَّصوير، حتَّى نبتت هذه النابتة، وتكلَّمت هذه الرّافضة، فثبّتتْ له جسماً، وجعلت له صورة وحدّاً، وأكفرتْ من قال بالرّؤية على غير الكيفية.

ثم زعم أكثرهم أنَّ كلام الله حسن وبيِّن، وحُجَّةٌ وبرهان، وأنَّ التَّوراة غير الزَّبور، والزَّبور غير الإنجيل، والإنجيل غير القرآن، والبقرة غير آل عمْران، وأنَّ الله تولَّى تأليفه، وجعله برهانه على صدق رسوله، وأنَّه لو شاء أن يزيد فيه زاد، ولو شاء أن ينقص منه نقص، ولو شاء أن يبدِّله بدَّله، ولو شاء أن ينسخه كلَّه بغيره نسخه، وأنَّه أنزله تنزيلا، وأنَّه فصَّله تفصيلا، وأنَّه بالله كان دون غيره، ولا يقدر عليه إلا هو، غير أنَّ الله مع ذلك كلَّه لم يخلقْه. فأعطوا جميع صفات الخلْق ومنعوا اسم الخلق.

والعجب أنَّ الخَلْق عند العرب إنما هو التقدير نفسه؛ فإذا قالوا خلق كذا وكذا، وكذلك قال " أحسن الخالقين " وقال " تَخْلُقُون إفْكاً " وقال: " وإذْ تخلُقُ من الطِّين كهيئة الطَّيْر " فقالوا: صنعه وجعله وقدَّره وأنزله، وفصَّله وأحدثه، ومنعوا خَلَقه. وليس تأويل خلقه أكثر من قدَّره. ولو قالوا بدل قولهم قدَّره ولم يخلُقْه: خلقه ولم يقدِّره، ما كانت المسألة عليهم إلاَّ من وجهٍ واحد.

والعجب أنَّ الذي منعه بزعمه أنْ يزعم أنَّه مخلوقٌ أنَّه لم يسمع ذلك من سلفه وهو يعلم أنَّه لم يسمع أيضاً عن سلفه أنّه ليس بمخلوق. وليس ذلك بهم، ولكن لما كان الكلام من الله يقال عندهم على مثل خروج الصَّوت من الجوف، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللِّسان والشَّفتين، وما كان على غير هذه الصّورة والصِّفة فليس بكلام.

ولما كنّا عندهم على غير هذه الصفة، وكنا لكلامنا غير خالقين، وجب أنَّ الله عز وجلَّ لكلامه غير خالق، إذ كنَّا خالقين لكلامنا. فإنَّما قالوا ذلك لأنَّهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا، وإن لم يقرّوا بذلك بألسنتهم. فذاك معناهم وقصدهم.

وقد كانت هذه الأمّة لا تجاوز معاصيها الإثم والضَّلال، إلاَّ ما حكيت لك عن بني أميّة وبني مرّوان وعمَّالها، ومن لم يدِنْ بإكفارهم، حتَّى نجمت النَّوابت، وتابعتْها هذه العوامُّ، فصار الغالب على هذا القرْن الكفر، وهو التَّشبيه والجبر، فصار كفرهم أعظم من كُفر من مضى في الأعمال التي هي الفسق، وصاروا شركاء من كفر منهم، بتولِّيهم وترك إكفارهم. قال الله عزّ من قائل: " ومن يتولَّهُمْ مِنْكُمْ فإنَّهُ منْهم ".

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقِّين ورحمهم، وقوّى ضعفهم وكثَّر قلتهم، حتّى صار ولاة أمرنا في هذا الدَّهر الصَّعب، والزَّمن الفاسد، أشدَّ استبصاراً في التشبيه من عِلْيتنا، وأعلم بما يلزم فيه منَّا، وأكشف للقناع من رؤسائنا، وصادفوا النَّاس وقد انتظموا معاني الفساد أجمع، وبلغوا غايات البدع، ثم قرنوا بذلك العصبيَّة التي هلك بها عالمٌ بعد عالم، والحميَّة التي لا تُبقي ديناً إلاَّ أفسدته، ولا دُنيا إلاَّ أهلكتها، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشُّعوبيّة، وما قد صار إليه الموالي من الفخْر على العجم والعرب.

وقد نجمت من الموالي ناجمةٌ، ونبتت منهم نابتةٌ، تزعم أنَّ المولى بولايةٍ قد صار عربيّاً؛ لقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: " مولى القوم منهم "، ولقوله: " الولاء لُحمةٌ كلُحمة النَّسب، لا يُباع ولا يُوهب".

قال: فنحن معاشر الموالي بقديمنا في العجم أشرف من العرب، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من العجم. وللعرب القديم دون الحديث. ولنا خصلتان جميعاً وافرتان فينا، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة.

وقد جعل الله المولى بعد أن كان عجميّاً عربيا بولائه، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيّاً بحلفه، وجعل إسماعيل، بعد أن كان أعجميّاً، عربيّاً. ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم إن إسماعيل كان عربيّاً ما كان عندنا إلاَّ أعجميّاً؛ لأنَّ الأعجم لا يصير عربيّاً، كما أنَّ العربيّ لا يصير أعجميّاً.

فإنما علمْنا أنَّ إسماعيل صيّره الله عربيّاً بعد أن كان أعجميّاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم، فكذلك حكمُ قوله: " مولى القوم منهم "، وقوله: " الولاء لُحمةٌ ".

قالوا: وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلدْ كما جعله أباً لمن ولد، وجعل أزواج النبيَ أمَّهات المؤمنين ولم يلدن منهم أحداً، وجعل الجار والد من لم يلدْ، في قولِ غير هذا كثيرٍ قد أتينا عليه في موضعه.

وليس أدعى إلى الفساد ولا أجلب للشَّرَ من المفاخرة، وليس على ظهرها إلا فخورٌ، إلاَّ قليل.

وأيّ شيء أغْيَظُ من أن يكون عبدك يزعم أنَّه أشرف منك وهو مقرّ أنه صار شريفاً بعتْقك إيَّاه.

وقد كتبت - مدَّ الله في عمرك - كتباً في مفاخرة قحطان، وفي تفضيل عدنان، وفي ردِّ الموالي إلى مكانهم من الفَضْل والنَّقص، وإلى قدْر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشَّرف. وأرجو أن يكون عدلاً بينهم، وداعيةً إلى صلاحهم، ومنْبهةً لما عليهم ولهم.

وقد أردت أن أرسل بالجزء الأوَّل إليك، ثم رأيت ألاَّ يكون إلاَّ بعد استئذانك واستئمارك، والانتهاء في ذلك إلى رغبتك.

فرأيك فيك موفّقاً، إن شاء الله عزَّ وجل. وبه الثِّقة.

[نقض العثمانية للاسكافي المنتزع من شرح نهج البلاغة]

وينبغى أن نذكر في هذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب العثمانية في تفضيل اسلام ابى بكر على اسلام على عليه السلام ، لان هذا الموضع يقتضيه ، لقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا لانهم استصغروا سنه ، فاستحقروا امر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث لم يصدقه في دعواه الا غلام صغير السن ، وشبهة العثمانية التى قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشات ، ومن هذه الكلمة تفرعت ، لان خلاصتها أن ابا بكر اسلم وهو ابن اربعين سنة ، وعلى اسلم ولم يبلغ الحلم ، فكان اسلام ابى بكر افضل .

ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الاسكافي على الجاحظ في كتابه المعروف بـ " نقض العثمانية " ، ويتشعب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث في الاسلامين الى البحث في افضلية الرجلين وخصائصهما ، فان ذلك لا يخلو عن فائدة جليلة ، ونكتة لطيفة ، لا يليق أن يخلو كتابنا هذا عنها ، ولان كلامهما بالرسائل والخطابة اشبه ، وفى الكتابة اقصد وادخل ، وكتابنا هذا موضوع لذكر ذلك امثاله .

قال أبو عثمان قالت العثمانية افضل الامة واولاها بالامامة أبو بكر بن ابى قحافة لاسلامه على الوجه الذى لم يسلم عليه احد في عصره ، وذلك إن الناس اختلفوا في اول الناس اسلاما ، فقال قوم أبو بكر ، وقال قوم زيد بن حارثة ، وقال قوم خباب بن الارت .

وإذا تفقدنا اخبارهم ، واحصينا احاديثهم ، وعددنا رجالهم ، ونظرنا في صحة اسانيدهم ، كان الخبر في تقدم اسلام ابى بكر اعم ورجاله اكثر ، واسانيده اصح ، وهو بذاك اشهر ، واللفظ فيه اظهر ، مع الاشعار الصحيحة ، والاخبار المستفيضة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد وفاته ، وليس بين الاشعار والاخبار فرق إذا امتنع في مجيئها ، واصل مخرجها التباعد والاتفاق والتواطؤ ، ولكن ندع هذا المذهب جانبا ، ونضرب عنه صفحا ، اقتدارا على الحجة ، ووثوقا بالفلج والقوة ، ونقتصر على ادنى نازل في ابى بكر ، وننزل على حكم الخصم ، فنقول انا وجدنا من يزعم انه اسلم قبل زيد وخباب ، ووجدنا من يزعم انهما اسلما قبله ، واوسط الامور اعدلها ، واقربها من محبة الجميع ، ورضا

المخالف ، أن نجعل اسلامهم كان معا ، إذ الاخبار متكافئة ، والاثار متساوية على ما تزعمون ، وليست احدى القضيتين اولى في صحة العقل من الاخرى ، ثم نستدل على امامة ابى بكر بما ورد فيه من الحديث ، وبما ابانه به الرسول صلى الله عليه وآله من غيره .

قالوا فمما روى من تقدم اسلامه ما حدث به أبو داود وابن مهدى عن شعبة ، وابن عيينة عن الجريرى ، عن ابى هريرة ، قال أبو بكر انا احقكم بهذا الامر - يعنى الخلافة - الست اول من صلى .

روى عباد بن صهيب ، عن يحيى بن عمير ، عن محمد بن المنكدر ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (إن الله بعثنى بالهدى ودين الحق الى الناس كافة ، فقالوا كذبت ، وقال أبو بكر صدقت) .

وروى يعلى بن عبيد ، قال جاء رجل الى ابن عباس ، فسأله من كان اول الناس اسلاما فقال اما سمعت قول حسان بن ثابت : إذا تذكرت شجوا من اخى ثقة فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا (1) الثاني التالى المحمود مشهده واول الناس منهم صدق الرسلا (2) .

وقال أبو محجن : سبقت الى الاسلام والله شاهد وكنت حبيبا بالعريش المشهر (3)

وقال كعب بن مالك : سبقت اخا تيم الى دين احمد وكنت لدى الغيران في الكهف صاحبا (4) وروى ابن ابى شيبة ، عن عبد الله بن ادريس ووكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال النخعي أبو بكر اول من اسلم .

وروى هيثم عن يعلى بن عطاء ، عن عمرو بن عنبسة ، قال اتيت النبي صلى الله عليه وآله وهو بعكاظ ، فقلت من بايعك على هذا الامر فقال بايعني حر وعبد ، فلقد رأيتني يومئذ وانا رابع الاسلام.

قال بعض اصحاب الحديث يعنى بالحر ابا بكر وبالعبد بلالا .

وروى الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح ، عن سليم بن عامر ، عن ابى امامة ، قال حدثنى عمرو

---

(1) ديوانه 299 ، والعثمانية 111 .

(2) بعده في الديوان والعثمانية : وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العداة به إذ صعد الجبلا خير البرية اتقاها واطهرها الا النبي واوفاها بما حملا (3) في الاصول : (المشهرا) ، واثبت ما في العثمانية ، من ابيات ثلاثة اوردها على قافية الراء المكسورة.

(4) العثمانية 111 .

بن عنبسة ، انه سال النبي صلى الله عليه وآله وهو بعكاظ ، فقال له من تبعك قال تبعني حر وعبد أبو بكر وبلال .

وروى عمرو بن ابراهيم الهاشمي ، عن عبد الملك بن عمير ، عن اسيد بن صفوان ، صاحب النبي صلى الله عليه وآله قال لما قبض أبو بكر جاء على بن ابى طالب عليه السلام ، فقال رحمك الله ابا بكر كنت اول الناس اسلاما .

وروى عباد ، عن الحسن بن دينار ، عن بشر بن ابى زينب ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال إذا لقيت الهاشميين قالوا على بن ابى طالب اول من اسلم ، وإذا لقيت الذين يعلمون ، قالوا أبو بكر اول من اسلم .

قال أبو عثمان الجاحظ قالت العثمانية فان قال قائل فما بالكم لم تذكروا على ابن ابى طالب في هذه الطبقة ، وقد تعلمون كثرة مقدمية والرواية فيه قلنا قد علمنا الرواية الصحيحة ، والشهادة القائمة ، انه اسلم وهو حدث غرير ، وطفل صغير ، فلم نكذب الناقلين ، ولم نستطع أن نلحق اسلامه باسلام البالغين ، لان المقلل زعم انه اسلم ، وهو ابن خمس سنين ، والمكثر زعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين، فالقياس أن يؤخذ بالاوسط بين الروايتين، وبالامر بين الامرين ، وانما يعرف حق ذلك من باطله ، بان نحصى سنيه

التى ولى فيها الخلافة ، وسنى عمر ، وسنى عثمان ، وسنى ابى بكر ، ومقام النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة ، ومقامه بمكة عند اظهار الدعوة ، فإذا فعلنا ذلك صح انه اسلم وهو ابن سبع سنين ، فالتاريخ المجمع عليه انه قتل عليه السلام في شهر رمضان سنه اربعين .

قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي (1) لو لا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد ، لم نحتج الى نقض ما احتجت به العثمانية ، فقد علم الناس كافة ، أن الدولة والسلطان لارباب مقالتهم ، وعرف كل احد علو اقدار شيوخهم وعلمائهم وامرائهم ، وظهور كلمتهم ، وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة ، والجائزة لمن روى الاخبار والاحاديث في فضل ابى بكر ، وما كان من تأكيد بني امية

(1) هو محمد بن عبد الله أبو جعفر المعروف بالاسكافي ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد 5 : 416 ، وقال عنه : (احد المتكلمين من معتزلة البغداديين ، وله تصانيف معروفة ...وبلغني انه مات في سنة اربعين ومائتين) .

لذلك ، وما واذه المحدثون من الاحاديث طلبا لما في ايديهم ، فكانوا لا يالون جهدا في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي عليه السلام وولده ، ويطفئوا نورهم ، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم ، ويحملوا على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر ، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ، فكانوا بين قتيل واسير ، وشريد وهارب ، ومستخف ذليل ، وخائف مترقب ، حتى أن الفقيه والمحدث والقاضى والمتكلم ، ليتقدم إليه ويتوعد بغاية الايعاد واشد العقوبة ، الا يذكروا شيئا من فضائلهم ، ولا يرخصوا لاحد أن يطيف بهم ، وحتى بلغ من تقية المحدث انه إذا ذكر حديثا عن على عليه السلام كنى عن ذكره ، فقال قال رجل من قريش ، وفعل رجل من قريش ، ولا يذكر عليا عليه السلام ، ولا يتفوه باسمه .

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله ، ووجهوا الحيل والتاويلات نحوها ، من خارجي مارق ، وناصب حنق ، وثابت مستبهم ، وناشئ معاند ، ومنافق مكذب ، وعثماني حسود ، يعترض فيها ويطعن ، ومعتزلي قد نقض في الكلام ، وابصر علم الاختلاف ، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل ، قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتاول مشهور فضائله، فمرة يتاولها بما لا يحتمل ، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض

ولا يزداد مع ذلك الا قوة ورفعة ، ووضوحا واستنارة ، وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بنى مروان ايام ملكهم - وذلك نحو ثمانين سنة - لم يدعوا جهدا في حمل الناس على شتمه ولعنه واخفاء فضائله ، وستر مناقبه وسوابقه .

روى خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حصين بن عبد الرحمن ، عن هلال بن يساف ، عن عبد الله بن ظالم ، قال لما بويع لمعاوية اقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا عليه السلام ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل الا ترون الى هذا الرجل الظالم يامر بلعن رجل من اهل الجنة .

روى سليمان بن داود ، عن شعبة ، عن الحر بن الصباح ، قال سمعت عبد الرحمن بن الاخنس ، يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر عليا عليه السلام ، فنال منه .

روى أبو كريب ، قال حدثنا أبو اسامة ، قال حدثنا صدقة بن المثنى النخعي عن رياح بن الحارث ، قال بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الاكبر ، وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة ، فاستقبل المغيرة ، فسب عليا عليه السلام .

روى محمد بن سعيد الاصفهانى ، عن شريك ، عن محمد بن اسحاق ، عن عمرو بن على ابن الحسين ، عن ابيه على بن الحسين عليه السلام ، قال قال لى مروان ما كان في القوم ادفع عن صاحبنا من صاحبكم قلت فما بالكم تسبونه على المنابر قال انه لا يستقيم لنا الامر الا بذلك .

روى مالك بن اسماعيل أبو غسان النهدي ، عن ابن ابى سيف ، قال خطب مروان والحسن عليه السلام ، جالس فنال من على عليه السلام فقال الحسن ويلك يا مروان اهذا الذى تشتم شر الناس قال لا ، ولكنه خير الناس .

وروى أبو غسان ايضا ، قال قال عمر بن عبد العزيز كان ابى يخطب فلا يزال مستمرا في خطبته ، حتى إذا صار الى ذكر على وسبه تقطع لسانه ، واصفر وجهه ، وتغيرت حاله ، فقلت له في ذلك ، فقال أو قد فطنت لذلك ، إن هؤلاء لو يعلمون من على ما يعلمه ابوك ما تبعنا منهم رجل .

وروى أبو عثمان ، قال حدثنا أبو اليقظان ، قال قام رجل من ولد عثمان الى هشام بن عبد الملك يوم عرفة ، فقال إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن ابى تراب .

وروى عمرو بن الفناد ، عن محمد بن فضيل ، عن اشعث بن سوار ، قال سب عدى بن اوطاة عليا عليه السلام على المنبر ، فبكى الحسن البصري وقال لقد سب هذا اليوم رجل انه لاخو رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والاخرة .

وروى عدى بن ثابت عن اسماعيل بن ابراهيم ، قال كنت انا وابراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلى ابواب كندة فخرج المغيرة فخطب ، فحمد الله ، ثم ذكر ما شاء أن يذكر ، ثم وقع في على عليه السلام ، فضرب ابراهيم على فخذي أو ركبتي ، ثم قال اقبل على ، فحدثني فانا لسنا في جمعة ، الا تسمع ما يقول هذا .

وروى عبد الله بن عثمان الثقفى ، قال حدثنا ابن ابى سيف ، قال قال ابن لعامر ابن عبد الله بن الزبير لولده لا تذكر يا بنى عليا الا بخير ، فان بنى امية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة ، فلم يزده الله

بذلك الا رفعة ، إن الدنيا لم تبن شيئا قط الا رجعت على ما بنت فهدمته ، وان الدين لم يبن شيئا قط وهدمه .

وروى عثمان بن سعيد ، قال حدثنا مطلب بن زياد ، عن ابي بكر بن عبد الله الاصبهاني ، قال كان دعى لبنى امية يقال له خالد بن عبد الله ، لا يزال يشتم عليا عليه
السلام ، فلما كان يوم جمعة ، وهو يخطب الناس ، قال والله إن كان رسول الله ليستعمله ، وانه ليعلم ما هو ولكنه كان ختنه ، وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه ، ثم قال ويحكم ما قال هذا الخبيث رايت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول كذبت يا عدو الله.

وروى القناد (1) ، قال حدثنا اسباط بن نصر الهمداني ، عن السدى ، قال بينما انا بالمدينة عند احجار الزيت ، إذ اقبل راكب على بعير ، فوقف فسب عليا عليه السلام ، فحف به الناس ينظرون إليه ، فبينما هو كذلك إذ اقبل سعد بن ابي وقاص ، فقال اللهم إن كان سب عبدا لك صالحا ، فار المسلمين خزيه ، فما لبث أن نفر به بعيره فسقط ، فاندقت عنقه .

وروى عثمان بن ابي شيبة ، عن عبد الله بن موسى ، عن فطر بن خليفة ، عن ابي عبد الله الجدلي ، قال دخلت على ام سلمة رحمها الله فقالت لى ايسب رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم وانتم احياء قلت وانى يكون هذا قالت اليس يسب على عليه السلام ومن يحبه .

وروى العباس بن بكار الضبى ، قال حدثنى أبو بكر الهذلى ، عن الزهري ، قال : قال ابن عباس لمعاوية ، الا تكف عن شتم هذا الرجل قال ما كنت لافعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير فلما ولى عمر بن عبد العزيز كف عن شتمه ، فقال الناس ترك السنة .

قال وقد روى عن ابن مسعود اما موقوفا عليه أو مرفوعا ، كيف انتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير ، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة ، فإذا غير منها شئ قيل غيرت السنة .

---

(1) القناد ، بنون مشددة ، وانظر تهذيب التهذيب 12 : 330 .

قال أبو جعفر وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما احدثوا قولا ، أو دينا لهوى فيحملون الناس على ذلك، حتى لا يعرفوا غيره ، كنحو ما اخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان ، وترك قراءة ابن مسعود وابى بن كعب ، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بنى امية وطغاة مروان بولد على عليه السلام وشيعته ، وانما كان سلطانه نحو عشرين سنة ، فما مات الحجاج حتى اجتمع اهل العراق على قراءة عثمان ، ونشا ابناؤهم ولا يعرفون غيرها لامساك الاباء عنها ، وكف المعلمين عن تعليمها ، حتى لو قرات عليهم قراءة عبد الله وابى ما عرفوها ، ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان ، لالف العادة وطول الجهالة ، لانه إذا استولت على الرعية الغلبة ، وطالت عليهم ايام التسلط ، وشاعت فيهم المخافة ، وشملتهم التقية، واتفقوا على

التخاذل والتساكت ، فلا تزال الايام تأخذ من بصائرهم ، وتنقص من ضمائرهم ، وتنقض من مرائرهم ، حتى تصير البدعة التى احدوثها غامرة للسنة التى كانوا يعرفونها ، ولقد كان الحجاج ومن ولاه ، كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بنى امية على اخفاء محاسن على عليه السلام وفضائله وفضائل ولده وشيعته ، واسقاط اقدارهم ، احرص منهم على اسقاط قراءة عبد الله وابى ، لان تلك القراءات لا تكون سببا لزوال ملكهم ، وفساد امرهم ، وانكشاف حالهم ، وفي اشتهار فضل على عليه السلام وولده واظهار محاسنهم بوارهم ، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم ، فحرصوا واجتهدوا في اخفاء فضائله ، وحملوا الناس على كتمانها وسترها ، وابى الله أن يزيد امره وامر ولده الا استنارة واشراقا ، وحبهم الا شغفا وشدة ، وذكرهم الا انتشارا وكثرة ، وحجتهم الا وضوحا وقوة ، وفضلهم الا ظهورا ، وشأنهم الا علوا ، واقدارهم الا اعظاما ، حتى اصبحوا باهانتهم اياهم اعزاء ، وباماتتهم ذكرهم احياء ، وما ارادوا به وبهم من الشر تحول خيرا ، فانتهى الينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدمه السابقون ، ولا ساواه فيه القاصدون ، ولا يلحقه الطالبون ، ولو لا انها كانت كالقبلة المنصوبة في الشهرة ، وكالسنن المحفوظة في الكثرة ، لم يصل الينا منها في دهرنا حرف واحد ، إذا كان الامر كما وصفناه .

قال فاما ما احتج به الجاحظ بامامة ابى بكر ، بكونه اول الناس اسلاما ، فلو كان هذا احتجاجا صحيحا، لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة ، وما رأيناه صنع ذلك لانه اخذ بيد عمر ويد ابى عبيده بن

الجراح ، وقال للناس قد رضيت لكم احد هذين الرجلين ، فبايعوا منهما من شئتم ، ولو كان هذا احتجاجا صحيحا لما قال عمر كانت بيعه ابي بكر فلتة وقى الله شرها ، ولو كان احتجاجا صحيحا لادعى واحد من الناس لابي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره ، بكونه سبق الى الاسلام ، وما عرفنا احدا ادعى له ذلك ، على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن ابا بكر اسلم الا بعد عدة من الرجال ، منهم على ابن ابي طالب ، وجعفر اخوه ، وزيد بن حارثة ، وابو ذر الغفاري ، وعمرو بن عنبسة السلمى ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وخباب بن الارت ، وإذا تأملنا الروايات الصحيحة ، والاسانيد القوية والوثيقة ، وجدناها كلها ناطقة بان عليا عليه السلام اول من اسلم .

فاما الرواية عن ابن عباس أن ابا بكر اولهم اسلاما فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك ، باكثر مما رووا واشهر ، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حماد ، عن ابي عوانه وسعيد ابن عيسى ، عن ابي داود الطيالسي ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، انه قال اول من صلى من الرجال على عليه السلام .

وروى الحسن البصري ، قال حدثنا عيسى بن راشد ، عن ابي بصير عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال فرض الله تعالى الاستغفار لعلى عليه السلام في القرآن على كل مسلم ، بقوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) (1) فكل من اسلم بعد على فهو يستغفر لعلى عليه السلام .

وروى سفيان بن عيينة ، عن ابن ابي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال السباق ثلاثة سبق يوشع بن نون الى موسى ، وسبق صاحب (يس) الى عيسى ، وسبق على بن ابي طالب الى محمد عليه وعليهم السلام .

فهذا قول ابن عباس في سبق على عليه السلام الى الاسلام ، وهو اثبت من حديث الشعبى واشهر ، على انه قد روى عن الشعبى خلاف ذلك من حديث ابي بكر الهذلى وداود بن ابي هند عن الشعبى ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام (هذا اول من آمن بي وصدقني وصلى معى).

قال فاما الاخبار الواردة بسبقه الى الاسلام المذكورة في الكتب الصحاح والاسانيد الموثوق بها ، فمنها ما روى شريك بن عبد الله ، عن سليمان بن المغيرة ، عن زيد ابن وهب ، عن عبد الله بن مسعود ، انه قال اول شئ علمته من امر رسول الله صلى الله عليه وآله انى قدمت مكة مع عمومة لى وناس من

---

(1) سورة الحشر 10.

قومي ، وكان من انفسنا شراء عطر ، فارشدنا الى العباس بن عبد المطلب ، فانتهينا إليه ، وهو جالس الى زمزم ، فبينا نحن عنده جلوسا ، إذ اقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان ابيضان ، وله وفرة الى انصاف اذنيه جعدة ، اشم اقنى ، ادعج العينين ، كث اللحية ، براق الثنايا ، ابيض تعلوه حمرة ، كانه القمر ليلة البدر ، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم ، حسن الوجه ، تقفوهم امراة ، قد سترت محاسنها ، حتى قصدوا نحو الحجر ، فاستلمه واستلمه الغلام ، ثم استلمته المراة ، ثم طاف بالبيت سبعا ، والغلام والمراة يطوفان معه ، ثم استقبل الحجر ، فقام ورفع يديه وكبر ، وقام الغلام الى جانبه، وقامت المراة خلفهما ، فرفعت يديها ، وكبرت فاطال القنوت ، ثم ركع وركع الغلام والمراة ، ثم رفع راسه فاطال ، ورفع الغلام والمراة معه يصنعان مثل ما يصنع ، فلما رأينا شيئا ننكره ، لا نعرفه بمكة ، اقبلنا على العباس ، فقلنا يا ابا الفضل ، إن هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم ، قال اجل والله ، قلنا فمن هذا قال هذا ابن اخى ، هذا محمد بن عبد الله ، وهذا الغلام ابن اخى ايضا ، هذا على بن ابي طالب، وهذه المراة زوجة محمد ، هذه خديجة بنت خويلد ، والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين، الا هؤلاء الثلاثة.

ومن حديث موسى بن داود ، عن خالد بن نافع ، عن عفيف بن قيس الكندى ، وقد رواه عن عفيف ايضا ، مالك بن اسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الوراق وابراهيم ابن محمد بن ميمونة ، قالوا جميعا حدثنا سعيد بن جشم ، عن اسد بن عبد الله البجلى ، عن يحيى بن عفيف بن قيس ، عن ابيه ، قال كنت في الجاهلية عطارا ، فقدمت مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، فبينا انا جالس عنده ، انظر الى الكعبة ، وقد تحلقت الشمس في السماء ، اقبل شاب كان في وجهه القمر ، حتى رمى ببصره الى السماء ، فنظر الى الشمس ساعة ، ثم اقبل حتى دنا من الكعبة ، فصف قدميه يصلى ، فخرج على اثره فتى كأن وجهه صفيحة يمانية ، فقام عن يمينه ، فجاءت امراة متلففة في ثيابها ، فقامت خلفهما ، فاهوى الشاب راكعا ، فركعا معه ، ثم اهوى الى الارض ساجدا ، فسجدا معه ، فقلت للعباس يا ابا الفضل امر عظيم فقال امر والله عظيم اتدرى من هذا الشاب قلت لا ، قال هذا ابن اخى ، هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، اتدرى من هذا الفتى قلت لا ، قال هذا ابن اخى على بن ابي طالب بن عبد المطلب ، اتدرى من المراة قلت لا ، قال هذه ابنة خويلد بن اسد بن عبد

العزى ، هذه خديجة زوج محمد هذا (1) ، وان محمدا هذا يذكر أن الهه اله السماء والارض ، وامره بهذا الدين فهو عليه كما ترى ، ويزعم انه نبى ، وقد صدقه على قوله على ابن عمه هذا الفتى ، وزوجته خديجة ، هذه المراة ، والله ما اعلم على وجه الارض كلها احدا على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة قال عفيف فقلت له فما تقولون انتم قال ننتظر الشيخ ما يصنع يعنى ابا طالب اخاه .

وروى عبد الله بن موسى ، والفضل بن دكين ، والحسن بن عطية ، قالوا حدثنا خالد بن طهمان ، عن نافع بن ابي نافع ، عن معقل بن يسار ، قال كنت اوصى النبي صلى الله عليه وآله ، فقال لى هل لك أن نعود فاطمة قلت نعم يا رسول الله ، فقام يمشى متوكئا على ، وقال اما انه سيحمل ثقلها غيرك ، ويكون اجرها لك ، قال فوالله كانه لم يكن على من ثقل النبي صلى الله عليه وآله شئ ، فدخلنا على فاطمة عليها السلام ، فقال لها صلى الله عليه وآله كيف تجدينك قالت لقد طال اسفى ، واشتد حزنى ، وقال لى النساء زوجك ابوك فقيرا لا مال له فقال لها اما ترضين انى زوجتك اقدم امتى سلما ، واكثرهم علما ، وافضلهم حلما قالت بلى رضيت يا رسول الله .

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبد الحميد وعبد السلام بن صالح ، عن قيس بن الربيع ، عن ابي ايوب الانصاري ، بالفاظه أو نحوها .

وروى عبد السلام بن صالح ، عن اسحاق الازرق ، عن جعفر بن محمد ، عن آبائه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما زوج فاطمة ، دخل النساء عليها ، فقلن يا بنت رسول الله ، خطبك فلان وفلان ، فردهم عنك ، وزوجك فقيرا لا مال له ، فلما دخل عليها ابوها صلى الله عليه وآله راى ذلك في وجهها ، فسألها فذكرت له ذلك ، فقال يا فاطمة ، إن الله امرني فانكحتك اقدمهم سلما ، واكثرهم علما ، واعظمهم حلما ، وما زوجتك الا بامر من السماء ، اما علمت انه اخى في الدنيا والاخرة.

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير ، عن السدى ، أن ابا بكر وعمر خطبا فاطمة عليه السلام ، فردهما رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال لم اومر بذلك ، فخطبها على عليه السلام ، فزوجه اياها ، وقال لها زوجتك اقدم الامة اسلاما ...

---

(1) ا : (زوج هذا) .

وذكر تمام الحديث قال وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة ، منهم اسماء بنت عميس ، وام ايمن ، وابن عباس وجابر بن عبد الله .

قال وقد روى محمد بن عبد الله بن ابي رافع ، عن ابيه ، عن جده ابي رافع ، قال اتيت ابا ذر بالربذة اودعه ، فلما اردت الانصراف ، قال لي ولاناس معي ستكون فتنة ، فاتقوا الله ، وعليكم بالشيخ على بن ابي طالب ، فاتبعوه ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (له انت اول من آمن بي ، واول من يصافحني يوم القيامة ، وانت الصديق الاكبر ، وانت الفاروق الذى يفرق بين الحق والباطل ، وانت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين ، وانت اخى ووزيرى ، وخير من اترك بعدى ، تقضى دينى وتنجز موعدى) .

قال وقد روى ابن ابي شيبة ، عن عبد الله بن نمير ، عن العلاء بن صالح ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله الاسدي ، قال سمعت على بن ابي طالب ، يقول انا عبد الله واخو رسوله ، وانا الصديق الاكبر ، لا يقولها غيرى الا كذاب ، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبد الله العدوية ، قالت سمعت عليا عليه السلام ، يخطب على منبر البصرة ، ويقول انا الصديق الاكبر ، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر ، واسلمت قبل أن يسلم .

وروى حبة بن جوين العرنى انه سمع عليا عليه السلام ، يقول انا اول رجل اسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

رواه أبو داود الطيالسي ، عن شعبة ، عن سفيان الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الخراز (1)، عن على بن حرار ، عن على بن عامر ، عن ابي الحجاف ، عن حكيم مولى زاذان، قال سمعت عليا عليه السلام ، يقول صليت قبل الناس سبع سنين، وكنا نسجد ولا نركع، واول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر ، فقلت يا رسول الله ، ما هذا قال امرت به.

وروى اسماعيل بن عمرو ، عن قيس بن الربيع ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال صلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء بعده .

وفى الرواية الاخرى ، عن انس بن مالك استنبئ النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، واسلم على يوم

---

(1) ب : (الحرار) .

الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى اول صلاة صلاها غداة الاثنين ، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك ، وصلى على عليه السلام يوم الثلاثاء غدا ذلك اليوم .

قال وقد روى بروايات مختلفة كثيرة متعددة ، عن زيد بن ارقم ، وسلمان الفارسى ، وجابر بن عبد الله ، وانس بن مالك ، أن عليا عليه السلام اول من اسلم ، وذكر الروايات والرجال باسمائهم وروى سلمة بن كهيل ، عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال (اولكم ورودا على الحوض اولكم اسلاما ، على بن ابى طالب).

وروى ياسين بن محمد بن ايمن ، عن ابى حازم ، مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول كفوا عن على بن ابى طالب ، فانى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (2) فيه خصالا ، لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب ، كان احب لى مما طلعت عليه الشمس ، كنت ذات يوم وابو بكر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وابو عبيدة مع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله نطلبه ، فانتهينا الى باب ام سلمة، ، فوجدنا عليا متكئا على نجاف (3) الباب ، فقلنا اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال هو في البيت ، رويدكم فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فسرنا حوله ، فاتكا على علي عليه السلام وضرب بيده على منكبه ، فقال ابشر يا على ابن ابى طالب ، انك مخاصم ، وانك تخصم (4) الناس بسبع لا يجاريك احد في واحدة منهن ، انت اول الناس اسلاما ، واعلمهم بايام الله ..) وذكر الحديث .

قال وقد روى أبو سعيد الخدرى ، عن النبي صلى الله عليه وآله مثل هذا الحديث .

قال روى أبو ايوب الانصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال (لقد صلت الملائكة على وعلى علي عليه السلام ، سبع سنين) وذلك انه لم يصلى معى رجل فيها غيره .

---

(2) ساقطة من ا .

(3) النجاف : هو ما بني نائتا فوق الباب .

(4) تخصم الناس : تغلبهم في الخصومة .

قال أبو جعفر فاما ما رواه الجاحظ من قوله صلى الله عليه وآله (انما تبعني حر وعبد) ، فانه لم يسم في هذا الحديث ابا بكر وبلالا ، وكيف وابو بكر لم يشتر بلالا الا بعد ظهور الاسلام بمكة، فلما اظهر بلال اسلامه عذبه امية بن خلف ولم يكن ذلك حال اخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الدعوة ، ولا في ابتداء امر الاسلام ، وقد قيل انه عليه السلام انما عنى بالحر على بن ابى طالب ، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن اسحاق ، قال وقد روى اسماعيل بن نصر الصفار ، عن محمد ابن ذكوان ، عن الشعبى ، قال قال الحجاج للحسن ، وعنده جماعة من التابعين وذكر على بن ابى طالب ما تقول انت يا حسن فقال ما اقول هو اول من صلى الى القبلة ، واجاب دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وان لعلى منزلة من ربه ، وقرابة من رسوله ، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردها احد فغضب الحجاج غضبا شديدا ، وقام عن سريره ، فدخل بعض البيوت وامر بصرفنا .

قال الشعبى وكنا جماعة ما منا الا من نال من على عليه السلام مقاربة للحجاج ، غير الحسن بن ابى الحسن رحمه الله .

وروى محرز بن هشام ، عن ابراهيم بن سلمه ، عن محمد بن عبيد الله ، قال قال رجل للحسن ما لنا لا نراك تثنى على على وتقرظه قال كيف وسيف الحجاج يقطر دما انه لاول من اسلم ، وحسبكم بذلك .

قال فهذه الاخبار .

واما الاشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة ، فمنها قول عبد الله بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب مجيبا للوليد بن عقبه بن ابى معيط : وان ولى الامر بعد محمد على وفى كل المواطن صاحبه وصى رسول الله حقا وصنوه واول من صلى ومن لان جانبه .

وقال خزيمة بن ثابت في هذا : وصى رسول الله من دون اهله وفارسه مذ كان في سالف الزمن واول من صلى من الناس كلهم سوى خيرة النسوان والله ذو منن .

وقال أبو سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر : ما كنت احسب أن الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن ابى حسن اليس اول من صلى لقبلتهم واعلم الناس بالاحكام والسنن .

وقال أبو الاسود الدؤلى يهدد طلحة والزبير : وان عليا لكم مصحر يماثله الاسد الاسود اما انه اول العابدين بمكة والله لا يعبد .

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين : هذا على وابن عم المصطفى اول من اجابه فيما روى * هو الامام لا يبالى من غوى * .

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الاسدي : فحوطوا عليا وانصروه فانه وصى وفى الاسلام اول اول وان تخذلوه والحوادث جمة فليس لكم عن ارضكم متحول قال والاشعار كالاخبار ، إذا امتنع في مجئ القبيلين التواطؤ والاتفاق ، كان ورودهما حجة .

فاما قول الجاحظ فاوسط الامور أن نجعل اسلامهما معا ، فقد ابطل بهذا ما احتج به لامامة ابى بكر ، لانه احتج بالسبق ، وقد عدل الان عنه .

قال أبو جعفر ويقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق على عليه السلام الا مجامعتكم ايانا على انه اسلم قبل الناس ، ودعواكم انه اسلم وهو طفل دعوى غير مقبوله لا بحجة .

فان قلتم ودعوتكم انه اسلم وهو بالغ دعوى غير مقبوله الا بحجة

قلنا قد ثبت اسلامه بحكم اقراركم ، ولو كان طفلا لكان في الحقيقة غير مسلم ، لان اسم الايمان والاسلام والكفر والطاعة والمعصية انما يقع على البالغين دون الاطفال والمجانين ، وإذا اطلقتم واطلقنا اسم الاسلام ، فالاصل في الاطلاق الحقيقة ، كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وآله (انت اول من آمن بى ، وانت اول من صدقنى) وقال لفاطمة (زوجتك اقدمهم سلما - أو قال اسلاما -) فان قالوا انما دعاه النبي صلى الله عليه وآله الى الاسلام على جهة العرض لا التكليف .

قلنا قد وافقتمونا على الدعاء ، وحكم الدعاء حكم الامر والتكليف ثم ادعيتم إن ذلك كان على وجه العرض ، وليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء [عن وجهه] (1) الا لحجة .

فان قالوا لعله كان على وجه التاديب والتعليم ، كما يعتمد مثل ذلك مع الاطفال قلنا إن ذلك انما يكون إذا تمكن الاسلام باهله ، أو عند النشوء عليه والولادة فيه ، فاما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك ، لا سيما إذا كان الاسلام غير معروف ولا معتاد بينهم ، على انه ليس من سنة النبي صلى الله عليه

---

(1) تكملة من ا.

وآله دعاء اطفال المشركين الى الاسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم ، قبل أن يبلغوا الحلم . وايضا فمن شان الطفل اتباع اهله وتقليد ابيه ، والمضى على منشئه ومولده ، وقد كانت منزلة النبي صلى الله عليه وآله حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة ، وهذه منازل لا ينتقل إليها الا من ثبت الاسلام عنده بحجة ، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة .

فان قالوا إن عليا عليه السلام كان يالف النبي صلى الله عليه وآله ، فوافقه على طريق المساعدة له .

قلنا انه وان كان يالفه اكثر من ابويه واخوته وعمومته واهل بيته ، ولم يكن الالف ليخرجه عما نشا عليه ، ولم يكن الاسلام مما غذى (2) به وكرر على سمعه ، لان الاسلام هو خلع الانداد والبراءة ممن اشرك بالله ، وهذا لا يجتمع في اعتقاد طفل .

ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس ننتظر الشيخ وما يصنع فإذا كان العباس وحمزة ينتظران ابا طالب ، ويصدران عن رأيه ، فكيف يخالفه ابنه ، ويؤثر القلة على الكثرة ، ويفارق المحبوب الى المكروه ، والعز الى الذل ، والامن الى الخوف ، عن غير معرفة ولا علم بما فيه .

فاما قوله إن المقلل يزعم انه اسلم وهو ابن خمس سنين ، والمكثر يزعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين ، فاول ما يقال في ذلك أن الاخبار جاءت في سنه عليه السلام يوم اسلم على خمسة اقسام فجعلناه في قسمين : القسم الاول الذين قالوا اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حدثنا بذلك احمد بن سعيد الاسدي ، عن اسحاق بن بشر القرشى ، عن الاوزاعي ، عن حمزة بن حبيب ، عن شداد بن اوس ، قال سالت خباب بن الارت عن اسلام على ، فقال اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، ولقد رايته يصلى قبل الناس مع النبي صلى الله عليه وآله وهو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، إن اول من اسلم على بن ابى طالب ، وهو ابن خمس عشرة سنة .

القسم الثاني الذين قالوا انه اسلم وهو ابن اربع عشرة سنة ، رواه أبو قتادة الحرانى ، عن ابى حازم الاعرج ، عن حذيفة بن اليمان ، قال كنا نعبد الحجارة ، ونشرب الخمر وعلى من ابناء

---

(2) ب : (عدي) ، تصحيف ، واثبت ما في ا .

اربع عشرة سنة قائم يصلى مع النبي صلى الله عليه وآله ليلا ونهارا ، وقريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما يذب عنه الا على عليه السلام .

وروى ابن ابى شيبة عن جرير بن عبد الحميد ، قال اسلم على وهو ابن اربع عشرة سنة .

القسم الثالث الذين قالوا اسلم وهو ابن احدى عشرة سنة ، رواه اسماعيل بن عبد الله الرقى ، عن محمد بن عمر ، عن عبد الله بن سمعان ، عن جعفر بن محمد عليه السلام ، عن ابيه عن محمد بن على عليه السلام ، أن عليا حين اسلم كان ابن احدى عشرة سنة .

وروى عبد الله بن زياد المدنى ، عن محمد بن على الباقر عليه السلام ، قال اول من آمن بالله على بن ابى طالب ، وهو ابن احدى عشرة سنة وهاجر الى المدينة وهو ابن اربعة وعشرين سنة.

القسم الرابع الذين قالوا انه اسلم وهو ابن عشر سنين رواه نوح بن دراج ، عن محمد بن اسحاق ، قال اول ذكر آمن وصدق بالنبوة على بن ابى طالب عليه السلام ، وهو ابن عشر سنين، ثم اسلم زيد بن حارثة ، ثم اسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم الخامس الذين قالوا انه اسلم وهو ابن تسع سنين ، رواه الحسن بن عنبسة الوراق ، عن سليم مولى الشعبى ، عن الشعبى ، قال اول من اسلم من الرجال على ابن ابى طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وآله تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر فهذه الاخبار كما تراها ، فاما أن يكون الجاحظ جهلها ، أو قصد العناد .

فاما قوله (فالقياس أن ناخذ باوسط الامرين من الروايتين) ، فنقول انه اسلم وهو ابن سبع سنين فان هذا تحكم منه ، ويلزمه مثله في رجل ادعى قبل رجل عشرة دراهم ، فانكر ذلك وقال انما يستحق قبلى اربعة دراهم ، فينبغي أن ناخذ الامر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم ، ويلزمه في ابى بكر حيث قال قوم كان كافرا ، وقال قوم كان اماما عادلا ان نقول اعدل الاقاويل اوسطها وهو منزلة (1) بين المنزلتين ، فنقول كان فاسقا ظالما ، وكذلك في جميع الامور المختلف فيها .

(1) ا : (أن ننزله) .

فاما قوله وانما يعرف حق ذلك من باطله ، بان نحصى سنى ولاية عثمان وعمر وابى بكر وسنى الهجرة ، ومقام النبي صلى الله عليه وآله بمكة بعد الرسالة الى أن هاجر ، فيقال له لو كانت الروايات متفقة على هذه التاريخات ، لكان لهذا القول مساغ ، ولكن الناس قد اختلفوا في ذلك ، فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وآله اقام بمكة بعد الرسالة خمس عشرة سنة ، رواه ابن عباس ، وقيل ثلاث عشرة سنة ، وروى عن ابن عباس ايضا ، واكثر الناس يرونه وقيل عشر سنين ، رواه عره بن الزبير ، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب .

واختلفوا في سن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال ، قوم كان ابن خمس وستين ، وقيل كان ابن ثلاث وستين ، وقيل كان ابن ستين .

واختلفوا في سن على عليه السلام ، فقيل كان ابن سبع وستين ، وقيل كان ابن خمس وستين وقيل ابن ثلاث وستين ، وقيل ابن ستين ، وقيل ابن تسع وخمسين .

فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذه الحال وانما الواجب أن يرجع الى اطلاق قولهم اسلم على ، فان هذا الاسم لا يكون مطلقا الا على البالغ ، كما لا يطلق اسم الكافر الا على البالغ ، على إن ابن احدى عشرة سنة يكون بالغا ، ويولد له الاولاد ، فقد روت الرواة أن عمرو بن العاص لم يكن اسن من ابنه عبد الله يومئذ ابن عشر سنين رواه هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وانا ابن عشر سنين .

قال الجاحظ فان قالوا فلعله وهو ابن سبع سنين (1 أو ثمانى سنين 1) ، قد بلغ من فطنته وذكائه وصحة لبه وصدق حدسه (2) وانكشاف العواقب له وان لم يكن جرب الامور ، ولا فاتح الرجال ، ولا نازع الخصوم ، ما يعرف به جميع ما يحب على البالغ معرفته والاقرار به .

(1 – 1) ساقط من ا.

(2) العثمانية : (حسه).

قيل (1) لهم انما نتكلم على ظواهر الاحوال ، وما شاهدنا عليه طبائع الاطفال ، فانا وجدنا حكم ابن سبع سنين أو ثمان - ما لم يعلم باطن امره وخاصة طبعه - حكم الاطفال ، وليس لنا أن نزيل ظاهر حكمه والذى نعرف من حال افناء جنسه بلعل وعسى ، لانا وان كنا لا ندرى ، لعله قد كان ذا فضيلة في الفطنة فلعله قد كان ذا نقص فيها .

هذا على تجويز أن يكون على عليه السلام في الغيب (2) قد اسلم وهو ابن سبع أو ثمان اسلام البالغ ، غير أن الحكم على مجرى امثاله واشكاله الذين اسلموا وهم في مثل سنه إذ كان اسلام هؤلاء عن تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس .

فاما عند التحقيق ، فانه لا تجويز لمثل ذلك ، لانه لو كان اسلم ، وهو ابن سبع أو ثمان وعرف فضل ما بين الانبياء والكهنة ، وفرق ما بين الرسل والسحرة ، وفرق ما بين خبر النبي والمنجم ، وحتى عرف كيد الاريب (3) ، وموضع الحجة ، و (4 وبعد غور المتنبي 4) ، كيف يلبس على العقلاء ، وتستمال عقول الدهماء ، وعرف الممكن في الطبع من الممتنع ، ما يحدث بالاتفاق مما يحدث بالاسباب ، وعرف قدر القوى وغاية الحيلة ومنتهى التمويه والخديعة ، وما لا يحتمل أن يحدثه الا الخالق سبحانه ، وما يجوز على الله في حكمته مما لا يجوز ، وكيف التحفظ من الهوى والاحتراس من الخداع ، لكان كونه على هذه الحال وهذه مع فرط الصبا و الحداثة وقلة التجارب والممارسة خروجا من العادة .

ومن المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقة ، وليس يصل احد الى معرفه نبى وكذب متنبئ ، حتى يجتمع فيه هذه المعارف التى ذكرناها ، والاسباب التى وصفناها وفصلناها ، ولو كان على عليه السلام على هذه الصفة ومعه هذه الخاصية لكان حجة على العامة ، وآية تدل على النبوة

---

(1) العثمانية : (قيل) .

(2) العثمانية (المغيب) .

(3) العثمانية : (المريب) .

(4 – 4) في الاصول : (وفقد التمييز) ، واثبت ما في العثمانية .

ولم يكن الله عز وجل ليخصه بمثل هذه الاعجوبة الا وهو يريد أن يحتج بها ، ويجعلها قاطعة لعذر الشاهد وحجة على الغائب .

ولو لا إن الله اخبر عن يحيى بن زكريا انه اتاه الحكم صبيا ، وانه انطق عيسى في المهد ما كانا في الحكم [ولا في المغيب] ، (1) الا كسائر الرسل ، وما عليه جميع البشر .

فإذا لم ينطق لعلى عليه السلام بذلك قرآن ، ولا جاء الخبر به مجئ الحجة القاطعة والمشاهدة القائمة ، فالمعلوم عندنا في الحكم أن طباعه كطباع عميه حمزة والعباس ، وهما امس بمعدن جماع الخير منه ، أو كطباع جعفر وعقيل من رجال قومه ، وسادة رهطه .

ولو أن انسانا ادعى مثل ذلك لاخيه جعفر أو لعميه حمزة والعباس ، ما كان عندنا في امره الا مثل ما عندنا فيه (2) .

اجاب شيخنا أبو جعفر رحمه الله فقال هذا كله مبنى على انه اسلم وهو ابن سبع أو ثمان ، ونحن قد بينا انه اسلم بالغا ابن خمس عشره سنه أو ابن اربع عشره سنة ، على انا لو نزلنا على حكم الخصوم ، وقلنا ما هو الاشهر والاكثر من الرواية ، وهو انه اسلم وهو ابن عشر لم يلزم ما قاله الجاحظ ، لان ابن عشر قد يستجمع عقله ، ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيرا من الامور المعقولة ، ومتى كان الصبى عاقلا مميزا كان مكلفا بالعقليات ، وان كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حد آخر وغاية اخرى ، فليس بمنكر أن يكون على عليه السلام وهو ابن عشر قد عقل المعجزة ، فلزمه الاقرار بالنبوة ، واسلم اسلام عالم عارف ، لا اسلام مقلد تابع ، وان كان ما نسقه الجاحظ وعدده من معرفه السحر والنجوم والفصل بينهما وبين النبوة ، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز ، وما لا يحدثه الا الخالق ، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدرة ، ومعرفة التمويه والخديعة ، والتلبيس والمماكرة ، شرطا في صحة الاسلام لما صح اسلام ابى بكر ولا عمر ولا غيرهما من العرب ، وانما التكليف لهؤلاء بالجمل ومبادئ المعارف لا بدقائقها والغامض منها

---

(1) من العثمانية .

(2) العثمانية 6 – 8 .

وليس يفتقر الاسلام الى أن يكون المسلم قد فاتح الرجال وجرب الامور ونازع الخصوم ، وانما يفتقر الى صحة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة ، الا ترى أن طفلا لو نشا في دار لم يعاشر الناس بها ، ولا فاتح الرجال ، ولا نازع الخصوم ، ثم كمل عقله ، وحصلت العلوم البديهية عنده ، لكان مكلفا بالعقليات .

فاما توهمه أن عليا عليه السلام اسلم عن تربية الحاضن ، وتلقين القيم ، ورياضة السائس ، فلعمري أن محمدا صلى الله عليه وآله كان حاضنه وقيمه وسائسه ، ولكن لم يكن منقطعا عن ابيه ابى طالب ولا عن اخوته طالب ، وعقيل وجعفر ، ولا عن عمومته واهل بيته ، وما زال مخالطا لهم ، ممتزجا بهم ، مع خدمته لمحمد صلى الله عليه وآله ، فما باله لم يمل الى الشرك وعبادة الاصنام لمخالطته اخوته واباه وعمومته واهله ، وهم كثير ومحمد صلى الله عليه وآله واحد وانت تعلم إن الصبى إذا كان له اهل ذوو كثرة ، وفيهم واحد

يذهب الى راى مفرد ، لا يوافقه عليه غيره منهم ، فانه الى ذوى الكثرة اميل ، وعن ذى الراى الشاذ المنفرد ابعد ، وعلى إن عليا عليه السلام لم يولد في دار الاسلام ، وانما ولد في دار الشرك وربى بين المشركين ، وشاهد الاصنام ، وعاين بعينه اهله ورهطه يعبدونها ، فلو كان في دار الاسلام لكان في القول مجال ، ولقيل انه ولد بين المسلمين ، فاسلامه عن تلقين الظئر وعن سماع كلمة الاسلام ومشاهدة شعاره لانه لم يسمع غيره ، ولا خطر بباله سواه ، فلما لم يكن ولد كذلك ، ثبت إن اسلامه اسلام المميز العارف بما دخل عليه .

ولو لا انه كذلك لما مدحه رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، ولا ارضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها زوجتك اقدمهم سلما ، ولا قرن الى قوله (واكثرهم علما ، واعظمهم حلما) ، والحلم العقل ، وهذان الامران غايه الفضل ، فلو لا انه اسلم اسلام عارف عالم مميز لما ضم اسلامه الى العلم والحلم اللذين وصفه بهما وكيف يجوز أن يمدحه بامر لم يكن مثابا عليه ، ولا معاقبا به لو تركه ، ولو كان اسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو عليه السلام [به] (1) على رؤوس الاشهاد ، ولا خطب على المنبر ، وهو بين عدو ومحارب ، وخاذل منافق ، فقال انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر

---

(1) تكملة من ا .

والفاروق الاعظم ، صليت قبل الناس سبع سنين ، واسلمت قبل اسلام ابي بكر ، وآمنت قبل ايمانه فهل بلغكم أن احدا من اهل ذلك العصر انكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره ، أو قال له انما كنت طفلا اسلمت على (2) تربية محمد صلى الله عليه وآله ذلك ، وتلقينه اياك ، كما يعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعا فلا فخر له في تعلم ذلك ، وخصوصا في عصر قد حارب فيه اهل البصرة والشام والنهروان ، وقد اعتورته الاعداء وهجته الشعراء ، فقال فيه النعمان بن بشير : لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب معاوية الامام وانت منها على وتح بمنقطع السراب (3) وقال فيه ايضا بعض الخوارج : دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم جزاء إذا ما جاء نفسا كتابها ابا حسن خذها على الراس ضربة بكف كريم ، بعد موت ثوابها .

وقال عمران بن حطان يمدح قاتله : يا ضربه من تقى ما اراد بها الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا (4) انى لاذكره حينا فاحسبه اوفى البرية عند الله ميزانا فلو وجد هؤلاء سبيلا الى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم اسلامه ، لبداوا بذلك ، وتركوا ما لا معنى له.

وقد اوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه الى الاسلام ، فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من اهل حربه ولقد قال في امهات الاولاد قولا خالف فيه عمر ، فذكروه بذلك وعابوه ، فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لا فخر فيه عندهم ، وعابوه بقوله في امهات الاولاد .

ثم يقال له خبرنا عن عبد الله بن عمر ، وقد اجازه النبي صلى الله عليه وآله يوم الخندق ، ولم يجزه يوم احد ، هل كان يميز ما ذكرته هل كان يميز ما ذكرته وهل كان يعلم فرق ما بين النبي والمتنبي ، ويفصل بين السحر والمعجزة ، الى غيره مما عددت وفصلت .

---

(1) تكملة من ا .

(2) (عن) .

(3) الوتح : القليل .

(4) الكامل 3 : 169 .

فان قال نعم ، وتجاسر على ذلك ، قيل له فعلى عليه السلام بذلك اولى من ابن عمر ، لانه اذكى وافطن بلا خلاف بين العقلاء ، وانى يشك في ذلك ، وقد رويتم انه لم يميز بين الميزان والعود بعد طول السن ، وكثرة التجارب ، ولم يميز ايضا بين امام الرشد وامام الغى ، فانه امتنع من بيعة على عليه السلام .

وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبايع لعبد الملك ، كيلا يبيت تلك الليلة بلا امام ، زعم .

لانه روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال (من مات ولا امام له مات ميته جاهلية) ، وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله ، أن اخرج رجله من الفراش ، فقال اصفق بيدك عليها ، فذلك تمييزه بين الميزان والعود ، وهذا اختياره في الائمة ، وحال على عليه السلام في ذكائه وفطنته ، وتوقد حسه ، وصدق حدسه ، معلومة مشهورة ، فإذا جاز أن يصح اسلام ابن عمر ، ويقال عنه انه عرف تلك الامور التى سردها الجاحظ ونسقها ، واظهر فصاحته وتشدقه فيها ، فعلى بمعرفة ذلك احق ، وبصحة اسلامه اولى .

وان قال لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك ، فقد ابطل اسلامه ، وطعن في رسول الله صلى الله عليه وآله حيث حكم بصحة اسلامه واجازه يوم الخندق ، لانه عليه السلام كان قال لا اجيز الا البالغ العاقل ، ولذلك لم يجزه يوم احد .

ثم يقال له إن ما نقوله في بلوغ على عليه السلام الحد الذى يحسن فيه التكليف العقلي بل يجب - وهو ابن عشر سنين - ليس باعجب من مجئ الولد لستة اشهر ، وقد صحح ذلك اهل العلم ، واستنبطوه من الكتاب ، وإن كان خارجا من التعارف والتجارب والعادة .

وكذلك مجئ الولد لسنتين خارج ايضا عن التعارف والعادة ، وقد صححه الفقهاء والناس .

ويروى أن معاذا لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاما قد نبتت ثنيتاه ، فقال ابوه ابني ورب الكعبه فثبت ذلك سنة يعمل بها الفقهاء ، وقد وجدنا العادة تقضى بان الجارية تحيض لاثنتى عشرة سنة ، وانه اقل سن تحيض فيه المراة ، وقد يكون في الاقل نساء يحضن لعشر ولتسع ، وقد ذكر ذلك الفقهاء ، وقد قال الشافعي في اللعان لو جاءت المراة بحمل وزوجها صبى له دون عشر سنين ، لم يكن ولدا له ، لان من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له ، وان كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له ، وكان بينهما لعان إذا لم يقر به .

وقال الفقهاء ايضا إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين ، لشدة الحر ببلادهن .

قال الجاحظ ولو لم يعرف باطل هذه الدعوى من آثر التقوى ، وتحفظ من الهوى ، الا بترك على عليه السلام ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه ، وقد نازع الرجال وناوى الاكفاء ، وجامع اهل الشورى ، لكان كافيا ، ومتى لم تصح لعلى عليه السلام هذه الدعوى في ايامه ، ولم يذكرها اهل عصره ، فهى عن ولده اعجز ، ومنهم اضعف .

ولم ينقل أن عليا عليه السلام احتج بذلك في موقف ، ولا ذكره في مجلس ، ولا قام به خطيبا ، ولا ادلى به واثقا ، لا سيما وقد رضيه الرسول صلى الله عليه وآله عندكم مفزعا ومعلما ، وجعله للناس اماما .

ولا ادعى له احد ذلك في عصره ، كما لم يدعه لنفسه ، حتى يقول انسان واحد : الدليل على امامته أن النبي صلى الله عليه وآله دعاه الى الاسلام أو كلفه التصديق قبل بلوغه ، ليكون ذلك آية للناس في عصره ، وحجة له ولولده من بعده ، فهذا كان اشد على طلحة والزبير وعائشة من كل ما ادعاه من فضائله وسوابقه وذكر قرابته (1) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إن مثل الجاحظ مع فضله وعلمه ، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها ، ولكنه يقول ما يقوله تعصبا وعنادا ، وقد روى الناس كافة ، افتخار على عليه السلام بالسبق الى الاسلام ، وان النبي صلى الله عليه وآله استنبئ يوم الاثنين ، واسلم على يوم الثلاثاء ، وانه كان يقول صليت قبل الناس سبع سنين ، وانه ما زال يقول انا اول من اسلم ، ويفتخر بذلك ، ويفتخر له به اولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته.

والامر في ذلك اشهر من كل شهير ، وقد قدمنا منه طرفا ، وما علمنا احدا من الناس فيما خلا استخف باسلام على عليه السلام ، ولا تهاون به ، ولا زعم انه اسلم اسلام حدث غرير ، وطفل صغير .

ومن العجب أن يكون مثل العباس وحمزة ينتظران ابا طالب وفعله ، ليصدرا عن رأيه ، ثم يخالفه على ابنه لغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلة على الكثرة ، والذل على العزة ، من غير علم ولا معرفة بالعاقبة .

---

(1) العثمانية 9 – 12 ، مع تصرف واختصار.

وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه الى الاسلام وكلفه التصديق .
وقد روى في الخبر الصحيح انه كلفه في مبدا الدعوة قبل ظهور كلمة الاسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاما ، وان يدعو له بنى عبد المطلب ، فصنع له الطعام ، ودعاهم له ، فخرجوا ذلك اليوم ، ولم ينذرهم صلى الله عليه وآله لكلمة قالها عمه أبو لهب ، فكلفه في اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام ، وان يدعوهم ثانية ، فصنعه ، ودعاهم فاكلوا ، ثم كلمهم صلى الله عليه وآله فدعاهم الى الدين ، ودعاه معهم لانه من بنى عبد المطلب ، ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله ، أن يجعله اخاه في الدين ، ووصيه بعد موته ، وخليفته من بعده ، فامسكوا كلهم واجابه هو وحده ، وقال انا انصرك على ما جئت به ، واوازرك وأبايعك ، فقال لهم لما راى منهم الخذلان ، ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعاين منهم الاباء ومنه الاجابة هذا اخى ووصيي وخليفتي من بعدى ، فقاموا يسخرون ويضحكون ، ويقولون لابي طالب اطع ابنك ، فقد امره عليك ، فهل يكلف عمل الطعام ودعاء القوم صغير مميز وغر غير عاقل وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول الا عاقل لبيب وهل يضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده في يده ، ويعطيه صفقة يمينه ، بالاخوة والوصية والخلافة الا وهو اهل لذلك ، بالغ حد التكليف ، محتمل لولاية الله وعداوة اعدائه وما بال هذا الطفل لم يانس باقرانه ، ولم يلصق باشكاله ، ولم ير مع الصبيان في ملاعبهم بعد اسلامه ، وهو كاحدهم في طبقته ، كبعضهم في معرفته .
وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته ، فيقال دعاه داعى الصبا وخاطر من خواطر الدنيا ، وحملته الغرة والحداثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم ، بل ما رأيناه الا ماضيا على اسلامه ، مصمما في امره ، محققا لقوله بفعله ، قد صدق اسلامه بعفافه وزهده ، ولصق برسول الله صلى الله عليه وآله من بين جميع من بحضرته ، فهو امينه واليفه في دنياه وآخرته ، وقد قهر شهوته ، وجاذب خواطره ، صابرا على ذلك نفسه ، لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الاخرة ، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبة بدء حاله ، وافتتاح امره ، حيث اسلم لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الشجرة ، فاقبلت تخد الارض ، فقالت قريش ساحر خفيف السحر فقال على عليه السلام يا رسول الله ، انا اول من يؤمن بك ، آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به ، وانا اشهد أن الشجرة فعلت ما فعلت

بامر الله تصديقا لنبوتك ، وبرهانا على صحة دعوتك ، فهل يكون ايمان قط اصح من هذا الايمان واوثق عقدة ، واحكم مرة ولكن حنق العثمانية وغيظهم ، وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لا حيلة فيه.

ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبا ، ليعلم نعمة الله على على عليه السلام بالاسلام حيث اسلم على الوضع الذى اسلم عليه ، فانه لو لا الالطاف التى خص بها ، والهداية التى منحها ، لما كان الا كبعض اقارب محمد صلى الله عليه وآله واهله ، فقد كان ممازجا له كممازجته ، ومخالطا له كمخالطة كثير من اهله ورهطه ، ولم يستجب منهم احد له الا بعد حين .

ومنهم من لم يستجب له اصلا ، فان جعفرا عليه السلام كان ملتصقا به ، ولم يسلم حينئذ ، وكان عتبة بن ابى لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته ولم يصدقه ، بل كان شديدا عليه ، وكان لخديجة بنون من غيره ، ولم يسلموا حينئذ ، وهم ربائبه (1) ومعه في دار واحدة .

وكان أبو طالب اباه في الحقيقة وكافله وناصره ، والمحامي عنه ، ومن لولاه لم تقم له قائمة ، ومع ذلك لم يسلم في اغلب الروايات ، وكان العباس عمه وصنو ابيه ، وكالقرين له في الولادة والمنشا والتربية ، ولم يستجب له الا بعد حين طويل ، وكان أبو لهب عمه ، وكدمه ولحمه ولم يسلم ، وكان شديدا عليه ، فكيف ينسب اسلام على عليه السلام الى الالف والتربية والقرابة واللحمة والتلقين والحضانة ، والدار الجامعة ، وطول العشرة والانس والخلوة وقد كان كل ذلك حاصلا لهؤلاء أو لكثير منهم ، ولم يهتد احد منهم إذ ذاك ، بل كانوا بين [من] (2) جحد وكفر ومات على كفره ، ومن ابطا وتاخر ، وسبق بالاسلام وجاء سكيتا (3) ، وقد فاز بالمنزلة غيره .

وهل يدل تأمل حال على عليه السلام مع الانصاف الا على انه اسلم ، لانه شاهد الاعلام ، ورای المعجزات ، وشم ريح النبوة ، ورای نور الرسالة ، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح ، لا بتقليد ولا حمية ، ولا رغبة ولا رهبة ، الا فيما يتعلق بامور الاخرة .

---

(1) الربائب : اولاد الزوج.

(2) من ا.

(3) السكيت : الفرس يجئ آخر الحلبة.

قال الجاحظ فلو أن عليا عليه السلام كان بالغا حيث اسلم ، لكان اسلام ابي بكر وزيد بن حارثة وخباب بن الارت افضل من اسلامه ، لان اسلام المقتضب (4) الذى لم يعتد به ولم يعوده ، ولم يمرن عليه ، افضل من اسلام الناشئ الذى ربي فيه ، ونشا وحبب إليه ، وذلك لان صاحب التربية يبلغ حيث يبلغ وقد اسقط الفه عنه مؤنة الروية والخاطر ، وكفاه علاج القلب واضطراب النفس ، وزيد وخباب وابو بكر يعانون من كلفة النظر ومؤنة التأمل ومشقة الانتقال من الدين الذى قد طال الفهم له ما هو غير خاف .

ولو كان على حيث اسلم بالغا مقتضبا كغيره ممن عددنا ، كان اسلامهم افضل من اسلامه ، لان من اسلم وهو يعلم أن له ظهرا كابي طالب ، وردءا كبنى هاشم ، وموضعا في بنى عبد المطلب ، ليس كالحليف والمولى ، والتابع والعسيف (5)

وكالرجل من عرض قريش (6) .

أو لست تعلم أن قريشا خاصة واهل مكة عامة لم يقدروا على اذى النبي صلى الله عليه وآله ، ما كان أبو طالب حيا وايضا فان اولئك اجتمع عليهم مع فراق الالف مشقة الخواطر ، وعلى عليه السلام كان بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ، يشاهد الاعلام في كل وقت ، ويحضر منزل الوحى ، فالبراهين له اشد انكشافا ، والخواطر على قلبه اقل اعتلاجا ، وعلى قدر الكلفة والمشقة يعظم الفضل ويكثر الاجر (7) .

قال أبو جعفر رحمه الله ينبغى أن ينظر اهل الانصاف هذا الفصل ، ويقفوا على قول ا لجاحظ والاصم في نصرة العثمانية واجتهادهم في القصد الى فضائل هذا الرجل ، وتهجينها ، فمرة يبطلان

---

(4) المقتضب : غير المستعد للشئ .

(5) العسيف : الاجير .

(6) من عرض قريش اي من دهائهم .

(7) العثمانية 22 – 24 . مع تصرف واختصار كبير .

معناها ، ومرة يتوصلان الى حط قدرها ، فلينظر في كل باب اعترضا فيه ، اين بلغت حيلتهما ، وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجعهما اليس إذا تأملتها علمت انها الفاظ ملفقة بلا معنى ، وانها عليها شجى وبلاء والا فما عسى أن تبلغ حيلة الحاسد ويغنى كيد الكائد الشانئ (8) لمن قد جل قدره عن النقص ، واضاءت فضائله اضاءة الشمس واين قول الجاحظ ، من دلائل السماء ، وبراهين الانبياء ، وقد علم الصغير والكبير ، والعالم والجاهل ، ممن بلغه ذكر على عليه السلام ، وعلم مبعث النبي صلى الله عليه وآله أن عليا عليه السلام لم يولد في دار الاسلام ، ولا غذى في حجر الايمان ، وانما استضافه رسول الله صلى الله عليه وآله الى نفسه سنة القحط والمجاعة ، وعمره يومئذ ثمانى سنين ، فمكث معه سبع سنين حتى اتاه جبرئيل بالرسالة ، فدعاه وهو بالغ كامل العقل الى الاسلام ، فاسلم بعد مشاهدة المعجزة ، وبعد اعمال النظر والفكرة ، وان كان قد ورد في كلامه انه صلى سبع سنين قبل الناس كلهم ، فانما يعنى ما بين الثمان والخمس عشرة ، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة ، ولا ادعاء نبوة ، وانما كان رسول الله (ص) يتعبد على ملة ابراهيم ودين الحنيفية ، ويتحنث ويجانب الناس ، ويعتزل ويطلب الخلوة ، وينقطع في جبل حراء ، وكان على عليه السلام معه كالتابع والتلميذ ، فلما بلغ الحلم ، وجاءت النبي صلى الله عليه وآله الملائكة ، وبشرته بالرسالة ، دعاه فاجابه عن نظر ومعرفة بالاعلام المعجزة ، فكيف يقول الجاحظ إن اسلامه لم يكن مقتضبا .

وان كان اسلامه ينقص عن اسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الدعوة ، لتكونن طاعة كثير من المكلفين افضل من طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وامثاله من المعصومين ، لان العصمة عند اهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح ، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه اسهل ، فوجب أن يكون ثوابه انقص من ثواب من اطاع مع تلك الالطاف .

---

(8) ب (االثاني) ، تحريف وصوابه من ا .

وكيف يقول الجاحظ إن اسلامه ناقص عن اسلام غيره ، وقد جاء في الخبر انه اسلم يوم الثلاثاء ، واستنبئ النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، فمن هذه حالة لم تكثر حجج الرسالة على سمعه ، ولا تواترت اعلام النبوة على مشاهدته ، ولا تطاول الوقت عليه لتخف محنته ، ويسقط ثقل تكليفه ، بل بان فضله ، وظهر حسن اختياره لنفسه ، إذ اسلم في حال بلوغه ، وعانى نوازع طبعه ، ولم يؤخر ذلك بعد سماعه .

وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا أن ابا بكر كان قبل اسلامه مذكورا ، ورئيسا معروفا ، يجتمع إليه كثير من اهل مكة فينشدون الاشعار ، ويتذاكرون الاخبار : ويشربون الخمر ، وقد كان سمع دلائل النبوة وحجج الرسل ، وسافر الى البلدان ، ووصلت إليه الاخبار ، وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة ، ومن كان كذلك كان انكشاف الامور له اظهر والاسلام عليه اسهل ، والخواطر على قلبه اقل اعتلاجا ، وكل ذلك عون لابي بكر على الاسلام ، ومسهل إليه سبيله ، ولذلك لما قال النبي صلى الله عليه وآله (اتيت بيت المقدس) ساله أبو بكر عن المسجد ومواضعه ، فصدقه وبان له امره ، وخفت مؤنته لما تقدم من معرفته بالبيت ، فخرج إذا اسلام ابى بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب وفى ذلك رويتم عنه صلى الله عليه وآله انه قال ما دعوت احدا الى الاسلام الا وكان له تردد ونبوة ، الا ما كان من ابى بكر ، فانه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين الى المعرفة والاسلام ، فاين هذا واسلام من خلى وعقله ، والجئ الى نظره ، مع صغر سنه ، واعتلاج الخواطر على قلبه ونشاته ، في ضد ما دخل فيه ، والغالب على امثاله واقرانه حب اللعب واللهو فلجا الى ما ظهر له من دلائل الدعوة ، ولم يتاخر اسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية ، فقهر شهوته ، وغالب خواطره وخرج من عادته وما كان غذى به لصحة نظره ، ولطافة فكره وغامض فهمه ، فعظم استنباطه ، ورجح فضله ، وشرف قدر اسلامه ، ولم ياخذ من الدنيا بنصيب ، ولا تنعم فيها بنعيم حدثا ولا كبيرا ، وحمى نفسه عن الهوى ، وكسر شره حداثته بالتقوى ، واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا ، واشغل هم الاخرة قلبه ، ووجه إليه رغبته ، فاسلامه هو السبيل الذى لم يسلم عليه احد غيره ، وما سبيله في ذلك الا كسبيل الانبياء ، ليعلم أن منزلته من النبي صلى الله عليه وآله كمنزلة هارون من موسى ، وانه وإن لم يكن نبيا ، فقد كان في سبيل الانبياء سالكا ، ولمنهاجهم متبعا ، وكانت حاله كحال ابراهيم عليه السلام ، فان اهل العلم ذكروا انه لما كان

صغيرا جعلته امه في سرب لم يطلع عليه احد ، فلما نشا ودرج وعقل قال لامه من ربي قالت ابوك ، قال فمن رب ابي فزبرته ونهرته ، الى أن طلع من شق السرب ، فراى كوكبا ، فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين ، فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين ، فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر ، فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون ، انى وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين ، وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) (1) وعلى هذا كان اسلام الصديق الاكبر عليه السلام ، لسنا نقول انه كان مساويا له في الفضيلة ، ولكن كان مقتديا بطريقه على ما قال الله تعالى (إن اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (2) .

واما اعتلال الجاحظ بان له ظهرا كابي طالب وردءا كبني هاشم ، فانه يوجب عليه أن تكون محنة ابي بكر وبلال ثوابهما وفضل اسلامهما اعظم مما لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لان ابا طالب ظهره وبني هاشم ردؤه ، وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر على عليه السلام الا بحطه من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن احد اشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من قراباته ، الادنى منهم فالادنى ، كابي لهب عمه وامراة ابي لهب ، وهي ام جميل بنت حرب بن امية واحدى اولاد عبد مناف ، ثم ما كان من عقبة بن ابي معيط ، وهو ابن عمه ، وما كان من النضر بن الحارث ، وهو من بني عبد الدار بن قصي ، وهو ابن عمه ايضا ، وغير هؤلاء ممن يطول تعداده ، وكلهم كان يطرح الاذى في طريقه ، وينقل اخباره ، ويرميه بالحجارة ، ويرمى الكرش والفرث عليه ، وكانوا يؤذون عليا عليه السلام كاذاه ، ويجتهدون في غمه ويستهزئون به ، وما كان لابي بكر قرابة تؤذيه كقرابة على ولما كان بين على ، وبين النبي صلى الله عليه وآله من الاتحاد والالف والاتفاق ، احجم المنافقون بالمدينة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وآله خوفا من سيفه ، ولانه صاحب الدار والجيش ، وامره مطاع ،

---

(1) سورة الانعام 75 .

(2) سورة آل عمران 68 .

وقوله نافذ ، فخافوا على دمائهم منه ، فاتقوه ، وامسكوا عن اظهار بغضه ، واظهروا بغض على عليه السلام وشنآنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه في الخبر الذى روى في جميع الصحاح (لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق) وقال كثير من اعلام الصحابة - كما روى في الخبر المشهور بين المحدثين (ما كنا نعرف المنافقين الا ببغض على ابن ابى طالب) واين كان ظهر ابى طالب عن جعفر ، وقد ازعجه الاذى عن وطنه ، حتى هاجر الى بلاد الحبشة وركب البحر ، ايتوهم الجاحظ أن ابا طالب نصر عليا ، وخذل جعفرا .

قال الجاحظ ولابي بكر فضيلة في اسلامه انه كان قبل اسلامه كثير الصديق ، عريض الجاه ، ذا يسار وغنى ، يعظم لماله ، ويستفاد من رأيه ، فخرج من عز الغنى وكثرة الصديق الى ذل الفاقة وعجز الوحدة ، وهذا غير اسلام من لا حراك به ، ولا عز له ، تابع غير متبوع ، لان من اشد ما يبتلى الكريم به ، السب بعد التحية ، والضرب بعد الهيبة ، والعسر بعد اليسر.

كان أبو بكر دعية من دعاة الرسول ، وكان يتلوه في جميع احواله ، فكان الخوف إليه اشد ، والمكروه نحوه اسرع ، وكان ممن تحسن مطالبته ، ولا يستحيى من ادراك الثار عنده ، لنباهته، وبعد ذكره ، والحدث الصغير يزدرى ويحتقر لصغر سنه وخمول ذكره (1) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما ما ذكر من كثرة المال والصديق ، واستفاضة الذكر وبعد الصيت وكبر السن ، فكله عليه لا له ، وذلك لانه قد علم أن من سيرة العرب واخلاقها حفظ الصديق والوفاء بالذمام والتهيب لذى الثروة واحترام ذى السن العالية ، وفى كل هذا ظهر شديد ، وسند وثقة يعتمد عليها عند المحن ، ولذلك كان المرء منهم إذا تمكن من صديقه ابقى عليه ، واستحيا منه ، وكان ذلك سببا لنجاته والعفو عنه ، على أن على بن ابى طالب عليه السلام إن لم يكن شهره سنه ، فقد شهره نسبه وموضعه من بنى هاشم ، وإن لم يستفض ذكره بلقاء الرجال ، وكثرة الاسفار استفاض بابى طالب ، فانتم تعلمون انه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم ، ولا أبو قحافة كابى طالب ، وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذى السن ويبعد صيت الحدث على الشيخ ، ومعلوم ايضا أن عليا على اعناق المشركين اثقل ، إذ كان هاشميا ، وان كان ابوه حامى رسول الله صلى الله عليه وآله ، والمانع لحوزته ،

---

(1) العثمانية 25 ، 26 ، مع تصرف واختصار .

وعلى هو الذى فتح على العرب باب الخلاف ، واستهان بهم ، بما اظهر من الاسلام والصلاة ، وخالف رهطه وعشيرته ، واطاع ابن عمه فيما لم يعرف من قبل ، ولا عهد له نظير ، كما قال تعالى (لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون) (2) ثم كان بعد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومشتكى حزنه ، وانيسه في خلوته ، وجليسه واليفه في ايامه كلها ، وكل هذا يوجب التحريض عليه ، ومعاداة العرب له ، ثم انتم معاشر العثمانية ، تثبتون لابي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه وآله من مكة الى يثرب ، ودخوله معه في الغار فقلتم مرتبة شريفة وحالة جليلة ، إذ كان شريكه في الهجرة ، وانيسه في الوحشة ، فاين هذه من صحبة على عليه السلام له في خلوته ، وحيث لا يجد انيسا غيره ، ليله ونهاره ، ايام مقامه بمكة يعبد الله معه سرا ، ويتكلف له الحاجة جهرا ، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ، ويشفق عليه ويحوطه ، وكالولد يبر والده ، ويعطف عليه ولما سئلت عائشة من كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالت اما من الرجال فعلى ، واما من النساء ففاطمة .

قال الجاحظ وكان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكة قبل الهجرة ، فضربه نوفل ابن خويلد المعروف بابن العدوية مرتين ، حتى ادماه وشده مع طلحة بن عبيد الله في قرن ، وجعلهما في الهاجرة عمير بن عثمان بن مرة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ولذلك كانا يدعيان القرينين ، ولو لم يكن له غير ذلك لكان لحاقه عسيرا ، وبلوغ منزلته شديدا ، ولو كان يوما واحدا لكان عظيما ، وعلى بن ابى طالب رافه وادع ، ليس بمطلوب ولا طالب ، وليس انه لم يكن في طبعه الشهامة والنجدة ، وفى غريزته البسالة في الشجاعة ، لكنه لم يكن قد تمت اداته ، ولا استكملت آلته ، ورجال الطلب واصحاب الثار يغمصون ذا الحداثة ويزدرون بذى الصبا والغرارة ، الى أن يلحق بالرجال ، ويخرج من طبع الاطفال (3) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما القول فممكن والدعوى سهلة ، سيما على مثل الجاحظ ، فانه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب ، وهو من دعوى الباطل غير بعيد ، فمعناه نزر ، وقوله لغو ،

---

(2) سورة يس 6 .

(3) العثمانية 27 ، 28 .

ومطلبه سجع ، وكلامه لعب ولهو ، يقول الشئ وخلافه ، ويحسن القول وضده ، ليس له من نفسه واعظ ولا لدعواه حد قائم ، والا فكيف تجاسر على القول بان عليا حينئذ لم يكن مطلوبا ولا طالبا ، وقد بينا بالاخبار الصحيحة ، والحديث المرفوع المسند انه كان يوم اسلم بالغا كاملا منابذا بلسانه وقلبه لمشركي قريش ، ثقيلا على قلوبهم وهو المخصوص دون ابى بكر بالحصار في الشعب ، وصاحب الخلوات برسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الظلمات

المتجرع لغصص المرار من ابى لهب وابى جهل وغيرهما ، والمصطلى لكل مكروه والشريك لنبيه في كل اذى ، قد نهض بالحمل الثقيل ، وبان بالامر الجليل ، ومن الذى كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق ، يخفى نفسه ، ويضائل شخصه ، حتى ياتي الى من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش ، كمطعم بن عدى وغيره ، فيحمل لبنى هاشم على ظهره اعدال الدقيق والقمح ، وهو على اشد خوف من اعدائهم ، كابى جهل وغيره ، لو ظفروا به لاراقوا دمه .

اعلي كان يفعل دلك ايام الحصار في الشعب ، ام أبو بكر وقد ذكر هو عليه السلام حاله يومئذ ، فقال في خطبة له مشهورة فتعاقدوا الا يعاملونا ولا يناكحونا ، واوقدت الحرب علينا نيرانها ، واضطرونا الى جبل وعر ، مؤمننا يرجو الثواب ، وكافرنا يحامى عن الاصل ، ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم ، وقطعوا عنهم المارة والميرة ، فكانوا يتوقعون الموت جوعا ، صباحا ومساء ، لا يرون وجها ولا فرجا ، قد اضمحل عزمهم ، وانقطع رجاؤهم ، فمن الذى خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمد صلى الله عليه وآله الا على عليه السلام وحده وما عسى أن يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة ، من تقصى معانيها ، وبلوغ غاية كنهها ، وفضيلة الصابر عندها ودامت هذه المحنة عليهم ثلاث سنين ، حتى انفرجت عنهم بقصة الصحيفة ، والقصه مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول في على عليه السلام انه قبل الهجرة كان وادعا رافها لم يكن مطلوبا ولا طالبا ، وهو صاحب الفراش الذى فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ، ووقاه بمهجته ، واحتمل السيوف ورضح الحجارة دونه وهل ينتهى الواصف وان اطنب ، والمادح وان اسهب ، الى الابانة عن مقدار هذه الفضيلة ، والايضاح بمزية هذه الخصيصة .

فاما قوله أن ابا بكر عذب بمكة ، فانا لا نعلم أن العذاب كان واقعا الا بعبد أو عسيف (1) ، أو لمن لا عشيرة له تمنعه ، فانتم في ابى بكر بين امرين تارة تجعلونه دخيلا ساقطا ، وهجينا رذيلا مستضعفا ذليلا ، وتارة تجعلونه رئيسا متبعا ، وكبيرا مطاعا ، فاعتمدوا على احد القولين لنكلمكم بحسب ما تختارونه لانفسكم .

ولو كان الفضل في الفتنه والعذاب ، لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكة افضل من ابى بكر ، لانهم كانوا من العذاب في اكثر مما كان فيه ، ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه ، كقوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) (2) قالوا نزلت في خباب وبلال ، ونزل في عمار قوله (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) (3) وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمر على عمار وابيه وامه ، وهم يعذبون ، يعذبهم بنو مخزوم لانهم كانوا حلفاءهم ، فيقول (صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة) ، وكان بلال يقلب على الرمضاء ، وهو يقول احد احد وما سمعنا لابي بكر في شئ من ذلك ذكرا ، ولقد كان لعلى عليه السلام عنده يد غراء ، إن صح ما رويتموه في تعذيبه ، لانه قتل نوفل بن خويلد وعمير بن عثمان يوم بدر ، ضرب نوفلا فقطع ساقه ، فقال اذكرك الله والرحم فقال قد قطع الله كل رحم وصهر الا من كان تابعا لمحمد ، ثم ضربه اخرى ففاضت نفسه ، وصمد لعمير بن عثمان التميمي ، فوجده يروم الهرب ، وقد ارتج عليه المسلك ، فضربه على شراسيف صدره ، فصار نصفه الاعلى بين رجليه ، وليس أن ابا بكر لم يطلب بثاره منهما ، ويجتهد ، لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل على عليه السلام ، فبان علي عليه السلام بفعله دونه قال الجاحظ ولابي بكر مراتب لا يشركه فيها على ولا غيره ، وذلك قبل الهجرة فقد علم الناس أن عليا عليه السلام انما ظهر فضله وانتشر صيته ، وامتحن ولقى المشاق منذ يوم بدر ، وانه انما قاتل في الزمان الذى استوفى فيه اهل الاسلام ، واهل الشرك ، وطمعوا في أن يكون الحرب بينهم سجالا ، واعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين ، وابو بكر كان قبل الهجرة معذبا ومطرودا مشردا ، في الزمان الذى ليس بالاسلام واهله نهوض ولا حركة ، ولذلك قال أبو بكر في خلافته طوبى لمن مات في فافاه الاسلام يقول في ضعفه (4) .

---

(1) العسيف : الاجير . (2) سورة النحل 41 . (3) سورة النحل 106 .

(1) العثمانية 39 ، 40 مع تصرف واختصار .

قال أبو جعفر رحمه الله لا اشك أن الباطل خان ابا عثمان ، والخطا اقعده ، والخذلان اصاره الى الحيرة ، فما علم وعرف حتى قال ما قال ، فزعم أن عليا عليه السلام قبل الهجرة لم يمتحن ولم يكابد المشاق ، وانه انما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر ، ونسى الحصار في الشعب ، وما منى به منه ، وابو بكر وادع رافه ، ياكل ما يريد ، ويجلس مع من يحب ، مخلى سربه ، طيبة نفسه ، ساكنا قلبه ، وعلى يقاسى الغمرات ، ويكابد الاهوال ، ويجوع ويظما ، ويتوقع القتل صباحا ومساء ، لانه كان هو المتوصل المحتال في احضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ، ليقيم به رمق رسول الله صلى الله عليه وآله وبنى هاشم ، وهم في الحصار ، ولا يامن في كل وقت مفاجاة اعداء رسول الله صلى الله عليه وآله له بالقتل ، كابي جهل بن هشام وعقبه بن ابى معيط ، والوليد بن المغيرة ، وعتبة ابن ربيعة وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرتها ، ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله صلى الله عليه وآله زاده ، ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه وهو كان المعلل له إذا مرض ، والمؤنس له إذا استوحش ، وابو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسهم الم ، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقة ، ولا يعلم بشئ من اخبارهم واحوالهم ، الا على سبيل الاجمال دون التفصيل ، ثلاث سنين ، محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم ، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتصرف في انفسهم ، فكيف اهمل الجاحظ هذه الفضيلة ، ونسى هذه الخصيصة ، ولا نظير لها ولكن لا يبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه ، وتنسق له خطابته ، ما ضيع من المعنى ، ورجع عليه من الخطا .

فاما قوله واعلموا أن العاقبة للمتقين ، ففيه اشارة الى معنى غامض قصده الجاحظ - يعنى أن لا فضيلة لعلى عليه السلام في الجهاد ، لان الرسول كان اعلمه انه منصور ، وان العاقبة له - وهذا من دسائس الجاحظ وهمزاته ولمزاته ، وليس بحق ما قاله ، لان رسول الله صلى الله عليه وآله اعلم اصحابه جملة أن العاقبة لهم ، ولم يعلم واحدا منهم بعينه انه لا يقتل ، لا عليا ولا غيره ، وان صح انه كان اعلمه انه لا يقتل ، فلم يعلمه انه لا يقطع عضو من اعضائه ، ولم يعلمه انه لا يمسه الم جراح في جسده ، ولم يعلمه انه لا يناله الضرب الشديد .

وعلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اعلم اصحابه قبل يوم بدر - وهو يومئذ بمكة - أن العاقبه لهم ، كما اعلم اصحابه بعد الهجرة ذلك ، فان لم يكن لعلى والمجاهدين فضيلة في الجهاد بعد الهجرة لاعلامه اياهم ذلك ، فلا فضيلة لابي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة لاعلامه اياهم بذلك ، فقد جاء في الخبر انه وعد ابا بكر قبل الهجرة بالنصر ، وانه قال له ارسلت الى هؤلاء بالذبح ، وان الله تعالى سيغنمنا اموالهم ، ويملكنا ديارهم ، فالقول في الموضعين متساو ومتفق .

قال الجاحظ وأن بين المحنة في الدهر الذى صار فيه اصحاب النبي صلى الله عليه وآله مقرنين لاهل مكة ومشركى قريش ، ومعهم اهل يثرب اصحاب النخيل والاطام و الشجاعة والصبر والمواساة ، والايثار والمحاماة والعدد الدثر ، والفعل الجزل ، وبين الدهر الذى كانوا فيه بمكة يفتنون ويشتمون ، ويضربون ويشردون ، ويجوعون ويعطشون ، مقهورين لا حراك بهم ، واذلاء لا عز لهم ، وفقراء لا مال عندهم ، ومستخفين لا يمكنهم اظهار دعوتهم ، لفرقا واضحا ، ولقد كانوا في حال احوجت لوطا وهو نبى الى أن قال (لو أن لى بكم قوه أو آوى الى ركن شديد) (1) وقال النبي صلى الله عليه وآله (عجبت من اخى لوط ، كيف قال أو آوى الى ركن شديد ، وهو ياوى الى الله تعالى) ثم لم يكن ذلك يوما ولا يومين ولا شهرا ولا شهرين ، ولا عاما ولا عامين ، ولكن السنين بعد السنين وكان اغلظ القوم واشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أبو بكر ، لانه اقام بمكة ما اقام رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث عشرة سنة ، وهو اوسط ما قالوا في مقام النبي صلى الله عليه وآله (2) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما نرى الجاحظ احتج لكون ابى بكر اغلظهم واشدهم محنة ، الا بقوله لانه اقام بمكة مدة مقام الرسول صلى الله عليه وآله بها ، وهذه الحجة لا تخص ابا بكر وحده ، لان عليا عليه السلام اقام معه هذه المدة ، وكذلك طلحة وزيد وعبد الرحمن وبلال وخباب وغيرهم ، وقد كان الواجب عليه أن يخص ابا بكر وحده بحجة تدل على انه كان اغلظ الجماعة ، واشدهم محنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فالاحتجاج في نفسه فاسد.

(1) سورة هود 80 .

(1) العثمانية 41 ..

ثم يقال له ما بالك اهملت امر مبيت على عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة هل نسيته ام تناسيته فانها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التى متى امتحنها الناظر ، واجال فكره فيها ، راى تحتها فضائل متفرقة ومناقب متغايرة ، وذلك انه لما استقر الخبر عند المشركين أن رسول الله صلى الله عليه وآله مجمع على الخروج من بينهم للهجرة الى غيرهم قصدوا الى معاجلته ، وتعاقدوا على أن يبيتوه في فراشه ، وان يضربوه باسياف كثيرة ، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها ، ليضيع دمه بين الشعوب ، ويتفرق بين القبائل ، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها من بطون قريش ، وتحالفوا على تلك الليلة ، واجتمعوا عليها ، فلما علم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك من امرهم ، دعا اوثق الناس عنده ، امثلهم في نفسه ، وابذلهم في ذات الاله لمهجته ، واسرعهم اجابه الى طاعته ، فقال له إن قريشا قد تحالفت على أن تبيتنى هذه الليلة ، فامض الى فراشي ، ونم في مضجعي ، والتف في بردى الحضرمي ليروا انى لم اخرج ، وانى خارج إن شاء الله .

فمنعه اولا من التحرز واعمال الحيلة ، وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من انواع المكايد والجهات التى يحتاط بها الناس لنفوسهم ، والجاه الى أن يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من ايدى ارباب الحنق والغيظة ، فأجاب الى ذلك سامعا مطيعا طيبة بها نفسه ، ونام على فراشه صابرا محتسبا ، واقيا له بمهجته ، ينتظر القتل ، ولا نعلم فوق بذل النفس درجه يلتمسها صابر ، ولا يبلغها طالب ، (والجود بالنفس اقصى غاية الجود) ، ولو لا أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم انه اهل لذلك ، لما اهله ، ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه ، واختير لذلك ، لكان من اختاره صلى الله عليه وآله منقوضا في رأيه ، مضرا في اختياره ، ولا يجوز أن يقول هذا احد من اهل الاسلام ، وكلهم مجمعون على أن الرسول صلى الله عليه وآله عمل الصواب ، واحسن في الاختيار .

ثم في ذلك - إذا تأمله المتأمل - وجوه من الفضل : منها انه وان كان عنده في موضع الثقة ، فانه غير مامون عليه الا يضبط السر فيفسد التدبير بافشائه تلك الليله الى من يلقيه الى الاعداء .

ومنها انه وان كان ضابطا للسر وثقه عند من اختاره ، فغير مامون عليه الجبن عند مفاجاة المكروه ، ومباشرة الاهوال ، فيفر من الفراش ، فيفطن لموضع الحيلة ، ويطلب رسول الله صلى الله عليه وآله فيظفر به .

ومنها انه وان كان ضابطا للسر ، شجاعا نجدا ، فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش ، لان هذا امر خارج عن الشجاعة إن كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع ، بل هو اشد مشقة من المكتوف الممنوع ، لان المكتوف الممنوع يعلم من نفسه انه لا سبيل له الى الهرب ، وهذا يجد السبيل الى الهرب والى الدفع عن نفسه ، ولا يهرب ولا يدافع .

نها انه وإن كان ثقة عنده ، ضابطا للسر ، شجاعا محتملا للمبيت على الفراش ، فانه غير مامون أن يذهب صبره عند العقوبة الواقعة ، والعذاب النازل بساحته ، حتى يبوح بما عنده ، ويصير الى الاقرار بما يعلمه ، وهو انه اخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ ، فلهذا قال علماء المسلمين إن فضيلة على عليه السلام تلك الليلة لا نعلم احدا من البشر نال مثلها ، الا ما كان من اسحاق وابراهيم عند استسلامه للذبح ، ولو لا أن الانبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على اعظم ، لانه قد روى أن اسحاق تلكا لما امره أن يضطجع ، وبكى على نفسه ، وقد كان ابوه يعلم أن عنده في ذلك وقفه ، ولذلك قال له (فانظر ماذا ترى) (1) وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك ، لانه ما تلكا ولا تتعتع ، ولا تغير لونه ولا اضطربت اعضاؤه ، ولقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وآله يشيرون عليه بالراى المخالف لما كان امر به ، وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما اشاروا به ، كما جرى يوم الخندق في مصانعته الاحزاب بثلث تمر المدينة ، فانهم اشاروا عليه بترك ذلك فتركه ، وهذه كانت قاعدته معهم ، وعادته بينهم ، وقد كان لعلى عليه السلام أن يعتل بعلة ، وان يقف ويقول يا رسول الله ، اكون معك احميك من العدو ، واذب بسيفي عنك ، فلست مستغنيا في خروجك عن مثلى ، ونجعل عبدا من عبيدنا في فراشك ، قائما مقامك ، يتوهم القوم - برؤيته نائما في بردك - انك لم تخرج ، ولم تفارق مركزك ، دفلم يقل ذلك ، ولا تحبس ولا توقف ، ولا تلعثم ، وذلك لعلم كل واحد منهما صلى الله عليه وآله أن احدا لا يصبر على ثقل هذه المحنة ، ولا يتورط هذه الهلكة ، الا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها ، والفوز

---

(1) سورة الصافات 102 .

بفضيلتها ، وله من جنس ذلك افعال كثيرة ، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين الى المبارزة ، فاحجم الناس كلهم عنه ، لما علموا من باسه وشدته ، ثم كرر النداء ، فقام على عليه السلام ، فقال انا ابرز إليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انه عمرو قال نعم ، وانا على فأمره بالخروج إليه ، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله (برز الايمان كله الى الشرك كله) ، وكيوم احد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله من ابطال قريش وهم يقصدون قتله ، فقتلهم دونه ، حتى قال جبرئيل عليه السلام (يا محمد إن هذه هي المواساة) فقال (انه منى وانا منه) ، فقال جبريل (وانا منكما) ولو عددنا ايامه ومقاماته التى شرى فيها نفسه لله تعالى لاطلنا واسهبنا .

قال الجاحظ فان احتج محتج لعلى عليه السلام بالمبيت على الفراش ، فبين الغار والفراش فرق واضح ، لان الغار وصحبة ابي بكر للنبى صلى الله عليه وآله قد نطق به القرآن ، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما مما نطق به الكتاب ، وامر على عليه السلام ونومه على الفراش ، وإن كان ثابتا صحيحا ، الا انه لم يذكر في القرآن ، وانما جاء مجئ الروايات والسير ، وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله (2) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا فرق غير مؤثر ، لانه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش ، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب ، ولا يجحده الا مجنون أو غير مخالط لاهل الملة ، ارايت كون الصلوات خمسا ، وكون زكاة الذهب ربع العشر ، وكون خروج الريح ناقضا للطهارة ، وامثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الاحكام هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل ، على أن الله تعالى لم يذكر اسم ابى بكر في الكتاب ، وانما قال (إذ يقول لصاحبه) (3) ، وانما علمنا انه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة ، وقد قال اهل التفسير إن قوله تعالى (ويمكر الله والله خير الماكرين) (2) كناية عن على عليه السلام ، لانه مكر بهم ، واول الاية (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (4)

---

(2) العثمانية 44 .

(3) سورة التوبة 40 .

(4) سورة الانفال 30 .

انزلت في ليلة الهجرة ، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش ، ومكر الله تعالى هو منام على عليه السلام على الفراش ، فلا فرق بين الموضعين في انهما مذكوران كناية لا تصريحا وقد روى المفسرون كلهم إن قول الله تعالى (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله) (5) ، انزلت في على عليه السلام ليلة المبيت على الفراش ، فهذه مثل قوله تعالى (إذ يقول لصاحبه) لا فرق بينهما .

قال الجاحظ وفرق آخر وهو انه لو كان مبيت على عليه السلام على الفراش ، جاء مجئ كون ابى بكر في الغار ، لم يكن له في ذلك كبير طاعة ، لان الناقلين نقلوا انه صلى الله عليه وآله قال له (نم فلن يخلص اليك شئ تكرهه) ، ولم ينقل ناقل انه قال لابي بكر في صحبته اياه وكونه معه في الغار مثل ذلك ، ولا قال له انفق واعتق فانك لن تفتقر ، ولن يصل اليك مكروه (6) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا هو الكذب الصراح ، والتحريف والادخال في الرواية ما ليس منها ، والمعروف المنقول انه صلى الله عليه وآله قال له اذهب فاضطجع في مضجعي ، وتغش ببردى الحضرمي ، فان القوم سيفقدوننى ، ولا يشهدون مضجعي ، فلعلهم إذا راوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا ، فإذا اصبحت فاغد في اداء امانتي ، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ ، وانما ولده أبو بكر الاصم ، واخذه الجاحظ ، ولا اصل له ، ولو كان هذا صحيحا لم يصل إليه منهم مكروه ، وقد وقع الاتفاق على انه ضرب ورمى بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تضور ، وانهم قالوا له رأينا تضورك ، فانا كنا نرمى محمدا ولا يتضور ، ولان لفظة المكروه إن كان قالها انما يراد بها القتل ، فهب انه امن القتل ، كيف يامن من الضرب والهوان ، ومن أن ينقطع بعض اعضائه ، وبان سلمت نفسه اليس الله تعالى قال لنبيه (بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (7) ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه ، وادميت ساقه ، وذلك لانها عصمة من القتل خاصة ، وكذلك المكروه الذى اومن على عليه السلام منه - وان كان صح ذلك في الحديث - انما هو مكروه القتل .

---

(5) سورة البقرة 207

(6) العثمانية 45 .

(7) سورة المائدة 67 .

ثم يقال له وابو بكر لا فضيلة له ايضا في كونه في الغار ، لان النبي صلى الله عليه وآله قال له (لا تحزن إن الله معنا) ، ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من كل سوء ، فكيف قلت ولم ينقل ناقل انه قال لابي بكر في الغار مثل ذلك فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما اورده ، فنقول له هذا ينقلب عليك في النبي صلى الله عليه وآله لان الله تعالى وعده بظهور دينه ، وعاقبة امره فيجب على قولك الا يكون مثابا عند الله تعالى على ما يحتمله من المكروه ، ولا ما يصيبه من الاذى إذ كان قد ايقن بالسلامة والفتح في عدته .

قال الجاحظ ومن جحد كون ابي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر لانه جحد نص الكتاب ، ثم انظر الى قوله تعالى (إن الله معنا) (1) من الفضيلة لابي بكر ، لانه شريك رسول الله صلى الله عليه وآله في كون الله تعالى معه وانزال السكينة ، قال كثير من الناس انه في الاية مخصوص بابي بكر ، لانه كان محتاجا الى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشرى ، والنبى صلى الله عليه وآله كان غير محتاج إليها ، لانه يعلم انه محروس من الله تعالى ، فلا معنى لنزول السكينة عليه ، وهذه فضيلة ثالثة لابي بكر .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله إن ابا عثمان يجر على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة ، ولقد كان في غنيه عن التعلق بما تعلق به ، لان الشيعة تزعم أن هذه الاية ، بان تكون طعنا وعيبا على ابي بكر ، اولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له ، لانه لما قال له (لا تحزن) دل على انه قد كان حزن وقنط واشفق على نفسه ، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين ، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة ، لان الله تعالى لا ينهى عن الطاعة ، فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه ، وقوله (إن الله معنا) أي إن الله عالم بحالنا وما نضمره من اليقين أو الشك ، كما يقول الرجل لصاحبه لا تضمرن سوءا ولا تنوين قبيحا ، فان الله تعالى يعلم ما نسره وما نعلنه ، وهذا مثل قوله تعالى (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم

---

(1) سورة التوبة 40 .

اينما كانوا) (2) ، أي هو عالم بهم ، واما السكينة فكيف يقول انها ليست راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله وبعدها قوله (وايده بجنود لم تروها) ، اترى المؤيد بالجنود كان ابا بكر ام رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقوله انه مستغن عنها ، ليس بصحيح ولا يستغنى احد عن الطاف الله وتوفيقه وتاييده وتثبيت قلبه ، وقد قال الله تعالى في قصة حنين (وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم انزل الله سكينته على رسوله) (3) صلى الله عليه وآله .

واما الصحبة فلا تدل الا على المرافقة والاصطحاب لا غير ، وقد يكون حيث لا ايمان ، كما قال تعالى (قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى خلقك) (4) ، ونحن وان كنا نعتقد اخلاص ابى بكر و ايمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة ، الا انا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ، ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها.

قال الجاحظ وإن كان المبيت على الفراش فضيلة ، فاين هي من فضائل ابى بكر ايام مكة ، من عتق المعذبين وانفاق المال وكثرة المستجيبين ، مع فرق ما بين الطاعتين ، لان طاعة الشاب الغرير والحدث الصغير الذى في عز صاحبه عزه ، ليست كطاعة الحليم الكبير الذى لا يرجع تسويد صاحبه الى رهطه وعشيرته .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما كثرة المستجيبين ، فالفضل فيها راجع الى المجيب لا الى المجاب ، على انا قد علمنا أن من استجاب لموسى عليه السلام اكثر ممن استجاب لنوح عليه السلام ، وثواب نوح اكثر ، لصبره على الاعداء ، ومقاساة خلافهم وعنتهم .

واما انفاق المال ، فاين محنة الغنى من محنة الفقير واين يعتدل اسلام من اسلم وهو غنى ، إن جاع اكل ، وإن اعيا ركب ، وإن عرى لبس ، قد وثق بيساره واستغنى بماله ، واستعان على نوائب الدنيا

---

(2) سورة المجادلة 7 .

(3) سورة التوبة 25 ، 26 .

(4) سورة الكهف 34 .

بثروته ، ممن لا يجد قوت يومه ، وان وجد لم يستاثر به ، فكان الفقر شعاره ، وفى ذلك قيل الفقر شعار المؤمن .

وقال الله تعالى لموسى (يا موسى إذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين) ، وفى الحديث (إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام)

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول (اللهم احشرني في زمرة الفقراء) ، ولذلك ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله فقيرا ، وكان بالفقر سعيدا ، فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع ، حتى شد الحجر على بطنه ، وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر عليه ، فانك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه ، لانه مناف لحال الدنيا واهلها ، وانما هو شعار اهل الاخرة .

واما طاعة على عليه السلام ، وكون الجاحظ زعم انها كانت لان في عز محمد عزه وعز رهطه ، بخلاف طاعة ابى بكر ، فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك ، وجهاد عبيدة بن الحارث ، وهجرة جعفر الى الحبشة ، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لان في دولته دولتهم ، وفي نصرته استجداد ملك لهم ، وهذا يجر الى الالحاد ، ويفتح باب الزندقة ، ويفضى الى الطعن في الاسلام والنبوة .

قال الجاحظ وعلى انا لو نزلنا الى ما يريدونه ، جعلنا الفراش كالغار ، وخلصت فضائل ابى بكر في غير ذلك عن معارض .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله قد بينا فضيله المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار ، بما هو واضح لمن انصف ، ونزيد هاهنا تأكيدا بما لم نذكره فيما تقدم فنقول إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين : احدهما أن عليا عليه السلام قد كان انس بالنبي صلى الله عليه وآله وحصل له بمصاحبته قديما انس عظيم ، والف شديد ، فلما فارقه عدم ذلك الانس ، وحصل به أبو بكر ، فكان ما يجده على عليه السلام من الوحشة والم الفرقة موجبا زيادة ثوابه ، لان الثواب على قدر المشقة .

وثانيهما أن ابا بكر كان يؤثر الخروج من مكة ، وقد كان خرج من قبل فردا ، فازداد كراهية للمقام ، فلما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وافق ذلك هوى قلبه ، ومحبوب نفسه ، فلم يكن له من

الفضيلة ما يوازى فضيلة من احتمل المشقة العظيمة ، وعرض نفسه لوقع السيوف ، لرضخ الحجارة ، لانه على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

قال الجاحظ ثم الذى لقى أبو بكر في مسجده الذى بناه على بابه في بنى جمح ، فقد كان بنى مسجدا يصلى فيه ، ويدعو الناس الى الاسلام ، وكان له صوت رقيق ، ووجه عتيق ، وكان إذا قرا بكى ، فيقف عليه المارة من الرجال والنساء والصبيان والعبيد ، فلما اوذى في الله ، ومنع من ذلك المسجد ، استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله في الهجرة فاذن له ، فاقبل يريد المدينة ، فتلقاه الكنانى (1) ، فعقد له جوارا ، وقال والله لا ادع مثلك يخرج من مكة ، فرجع إليها وعاد لصنيعه في المسجد ، فمشت قريش الى جاره الكنانى ، واجلبوا عليه ، فقال له دع المسجد وآدخل بيتك ، واصنع فيه ما بدا لك (2) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه ، وهو فيهم ذو سطوة وقدر ، وتترك ابا بكر يبنى مسجدا يفعل فيه ما ذكرتم ، وانتم الذين رويتم عن ابن مسعود انه قال (ما صلينا ظاهرين حتى اسلم عمر بن الخطاب) ، والذى تذكرونه من بناء المسجد كان قبل اسلام عمر ، فكيف هذا .

واما ما ذكرتم من رقة صوته وعتاق وجهه ، فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره أن عائشة رات رجلا من العرب خفيف العارضين ، معروق الخدين ، غائر العينين ، اجنأ (3) لا يمسك ازاره ، فقالت ما رايت اشبه بابى بكر من هذا فلا نراها دلت على شئ من الجمال في صفته .

قال الجاحظ وحيث رد أبو بكر جوار الكنانى ، وقال لا اريد جارا سوى الله ، لقى من الاذى والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم ، وهذا موجود في جميع السير ، وكان آخر ما لقى هو واهله في امر الغار ، وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير ، كما جعلت في النبي صلى الله عليه وآله ، فلقى أبو جهل اسماء بنت بكر ، فسألها فكتمته ، فلطمها حتى رمت قرطا كان في اذنها (4)

---

(1) الكناني هو مالك بن الدغنة ، احد بني الحارث بن بكر بن عبد مناة .

(2) العثمانية 28 ، 29 مع تصرف واختصار .

(3) الاجنأ ، من الجنأ وهو ميل الظهر

(4) العثمانية 29 ، مع تصرف واختصار

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا الكلام وهجر السكران سواء ، في تقارب المخرج ، واضطراب المعنى ، وذلك أن قريشا لم تقدر على اذى النبي صلى الله عليه وآله ، وابو طالب حى يمنعه ، فلما مات طلبته لتقتله ، فخرج تارة الى بنى عامر ، وتارة الى ثقيف ، وتارة الى بنى شيبان ، ولم يكن يتجاسر على المقام بمكة الا مستترا ، حتى اجاره مطعم بن عدى ، ثم خرج الى المدينة ، فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه حين فاتها ، فلم تقدر عليه ، فما بالها بذلت في ابى بكر مائة بعير اخرى ، وقد كان رد الجوار ، وبقى بينهم فردا لا ناصر له ولا دافع عنده ، يصنعون به ما يريدون اما أن يكونوا اجهل البرية كلها أو يكون العثمانية اكذب جيل في الارض واوقحه وجها فهذا مما لم يذكر في سيره ولا روى في اثر ، ولا سمع به بشر ، ولا سبق الجاحظ به احد .

قال الجاحظ ثم الذى كان من دعائه الى الاسلام وحسن احتجاجه ، حتى اسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعثمان وعبد الرحمن ، لانه ساعة اسلم دعا الى الله والى رسوله (1) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما اعجب هذا القول ، إذ تدعى العثمانية لابي بكر الرفق في الدعاء وحسن الاحتجاج ، وقد اسلم ومعه في منزله ابنه عبد الرحمن ، فما قدر أن يدخله في الاسلام طوعا برفقة ولطف احتجاجه ، ولا كرها بقطع النفقة عنه وادخال المكروه عليه ، ولا كان لابي بكر عند ابنه عبد الرحمن من القدر ما يطيعه فيما يامره به ، ويدعوه إليه ، كما روى أن ابا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله يوما ، وكان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه ، فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي صلى الله عليه وآله ، فوجده قائما في بعض شعاب مكة يصلى ، وعلى عليه السلام معه عن يمينه ، فلما رآهما أبو طالب ، قال لجعفر تقدم وصل جناح ابن عمك ، فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وآله ، فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتاخر الاخوان ، فبكى أبو طالب ، وقال : إن عليا وجعفرا ثقتى عند ملم الخطوب والنوب (2) لا تخذلا وانصرا ابن عمكما خى لامى من بينهم وابى والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بنى ذو حسب فتذكر الرواة أن جعفرا اسلم منذ ذلك اليوم ، لان اباه امره بذلك واطاع امره ، وابو بكر لم يقدر على ادخال ابنه عبد الرحمن في الاسلام

(1) العثمانية **31** مع تصرف واختصار.

(2) ديوانه **42** .

حتى اقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة ، وخرج يوم احد في عسكر المشركين ينادى انا عبد الرحمن بن عتيق ، هل من مبارز ثم مكث بعد ذلك على كفره ، حتى اسلم عام الفتح ، وهو اليوم الذى دخلت فيه قريش في الاسلام طوعا وكرها ، ولم يجد احد منها الى ترك ذلك سبيلا واين كان رفق ابى بكر وحسن احتجاجه عند ابيه ابى قحافة وهما في دار واحدة هلا رفق به ودعاه الى الاسلام فاسلم وقد علمتم انه بقى على الكفر الى يوم الفتح ، فاحضره ابنه عند النبي صلى الله عليه وآله وهو شيخ كبير راسه كالثغامة (1) ، فنفر رسول الله صلى الله عليه وآله منه ، وقال غيروا هذا ، فخضبوه ، ثم جاءوا به مرة اخرى ، فاسلم .

وكان أبو قحافة فقيرا مدقعا سيئ الحال ، وابو بكر عندهم كان مثريا فائض المال ، فلم يمكنه استمالته الى الاسلام بالنفقة والاحسان ، وقد كانت امراة ابى بكر ام عبد الله ابنه - واسمها نملة بنت عبد العزى بن اسعد بن عبد بن ود العامرية - لم تسلم ، واقامت على شركها بمكة ، وهاجر أبو بكر وهى كافرة ، فلما نزل قوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) (2) ، فطلقها أبو بكر ، فمن عجز عن ابنه وابيه وامراته فهو عن غيرهم من الغرماء اعجز ، ومن لم يقبل منه ابوه وابنه وامراته لا برفق واحتجاج ، ولا خوفا من قطع النفقة عنهم ، وادخال المكروه عليهم فغيرهم اقل قبولا منه ، واكثر خلافا عليه .

قال الجاحظ وقالت اسماء بنت ابى بكر ما عرفت ابى الا وهو يدين بالدين ، ولقد رجع الينا يوم اسلم ، فدعانا الى الاسلام ، فما رمنا حتى اسلمنا ، واسلم اكثر جلسائه ، ولذلك قالوا من اسلم بدعاء ابى بكر اكثر ممن اسلم بالسيف ، ولم يذهبوا في ذلك الى العدد ، بل عنوا الكثرة في القدر ، لانه اسلم على يديه خمسة من اهل الشورى ، كلهم يصلح للخلافة وهم اكفاء على عليه السلام ، ومنازعوه الرياسة والامامة ، فهؤلاء اكثر من جميع الناس (3) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اخبرونا من هذا الذى اسلم ذلك اليوم من اهل بيت ابى بكر إذا كانت امراته لم تسلم وابنه عبد الرحمن لم يسلم ، وابو قحافة لم يسلم ، واخته ام فروة لم تسلم ، وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت ، لانها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين ،

---

(1) الثغام : كسحاب : ضرب من النبات ابيض . (2) سورة الممتحنة 10 .

(3) العثمانية 31 - 32 ، مع تصرف واختصار .

ومحمد بن ابى بكر ولد بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة ، لانه ولد في حجة الوداع ، واسماء بنت ابى بكر التى قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بنت اربع سنين - وفى رواية من يقول بنت سنتين - فمن الذى اسلم من اهل بيته يوم اسلم نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكابرة وكيف اسلم سعد والزبير وعبد الرحمن بدعاء ابى بكر وليسوا من رهطه ولا من اترابه ولا من جلسائه ، ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدمة ، ولا انس وكيد وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، لم يدخلهما في الاسلام برفقه وحسن دعائه ، وقد زعمتم انهما كانا يجلسان إليه لعلمه وطريف حديثه وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الاسلام ، وقد ذكرتم انه ادبه وخرجه ، ومنه اخذ جبير العلم بانساب قريش وماثرها فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم ، وهم منه بالحال التى وصفنا ، ودعا من لم يكن بينه وبينه انس ولا معرفة ، الا معرفة عيان وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب ، وقد كان شكله ، اقرب الناس شبها به في اغلب اخلاقه ولئن رجعتم الى الانصاف لتعلمن أن هؤلاء لم يكن اسلامهم الا بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله لهم ، وعلى يديه اسلموا ، ولو فكرتم في حسن التاتى في الدعاء ، ليصحن لابي طالب في ذلك على شركه اضعاف ما ذكرتموه لابي بكر، لانكم رويتم أن ابا طالب قال لعلى عليه السلام : يا بنى الزمه ، فانه لن يدعوك الا الى خير ، وقال لجعفر صل جناح ابن عمك ، فاسلم بقوله ولاجله اصفق بنو عبد مناف على نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة من بنى مخزوم ، وبنى سهم ، وبنى جمح ، ولاجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب ، وبدعائه واقباله على محمد صلى الله عليه وآله اسلمت امراته فاطمة بنت اسد ، فهو احسن رفقا ، وايمن نقيبة من ابى بكر وغيره ، وانما منعه عن الاسلام أن ثبت انه لم يسلم الا تقية ، وابو بكر لم يكن له الا ابن واحد ، وهو عبد الرحمن ، فلم يمكنه أن يدخله في الاسلام ، ولا امكنه إذ لم يقبل منه الاسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الاذى لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وفيه (انزل والذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى أن اخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين) (1) ، وانما يعرف حسن رفق الرجل وتاتيه بان يصلح اولا امر بيته واهله ، ثم يدعو الاقرب

---

(1) سورة الاحقاف 17.

فالاقرب ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله لما بعث كان اول من دعا زوجته خديجة ، ثم مكفوله وابن عمه عليا عليه السلام ، ثم مولاه زيدا ، ثم ام ايمن خادمته ، فهل رأيتم احدا ممن كان ياوى الى رسول الله صلى الله عليه وآله لم يسارع وهل التاث عليه احد من هؤلاء فهكذا يكون حسن التاتى والرفق في الدعاء هذا ورسول الله مقل ، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى ، وابو بكر عندكم كان موسرا ، وكان ابوه مقترا ، وكذلك ابنه وامراته ام عبد الله ، والموسر في فطرة العقول اولى أن يتبع من المقتر ، وانما حسن التاتى والرفق في الدعاء ما صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه ، وما صنع سعد بن معاذ ببنى عبد الاشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيب باسلم لما دعاهم ، قالوا اسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه ، واسلم بنو عبد الاشهل بدعاء سعد في يوم واحد ، واما من لم يسلم ابنه ولا امراته ، ولا ابوه ولا اخته بدعائه فهيهات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء وحسن التاتى والاناة .

قال الجاحظ ثم اعتق أبو بكر بعد ذلك جماعة من المعذبين في الله ، وهم ست رقاب ، منهم بلال وعامر بن فهيرة ، وزنيرة النهدية ، وابنتها ومر بجارية يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه ، واعتقها ، واعتق ابا عيسى فانزل الله فيه (فاما من اعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى ...) (1) ، الى آخر السورة .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما بلال وعامر بن فهيرة ، فانما اعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله ، روى ذلك الواقدي وابن اسحاق وغيرهما ، واما باقى مواليهم الاربعة ، فان سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشدة بغض مواليهم لهم الا مائة درهم أو نحوها ، فاى فخر في هذا واما الاية فان ابن عباس قال في تفسيرها (فاما من اعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى) ، أي لان يعود .

وقال غيره نزلت في مصعب بن عمير .

قال الجاحظ وقد علمتم أبو بكر في ماله ، وكان ماله اربعين الف درهم ، فانفقه في نوائب الاسلام وحقوقه ، ولم يكن خفيف الظهر ، قليل العيال والنسل ، فيكون فاقد جميع اليسارين ،

---

(1) سورة الليل 5.

بل كان ذا بنين وبنات وزوجة وخدم وحشم ، ويعول والديه وما ولدا ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله قبل ذلك عنده مشهورا ، فيخاف العار في ترك مواساته ، فكان انفاقه على الوجه الذى لا نجد في غاية الفضل مثله ، ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله (ما نفعني مال كما نفعني مال ابى بكر) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ، اخبرونا على أي نوائب الاسلام انفق هذا المال ، وفى أي وجه وضعه فانه ليس بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه ، وينسى ذكره ، وانتم فلم تقفوا على شئ اكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم .

وكيف يدعى له الانفاق الجليل ، وقد باع من رسول الله صلى الله عليه وآله بعيرين عند خروجه الى يثرب ، واخذ منه الثمن في مثل تلك الحال ، وروى ذلك جميع المحدثين ، وقد رويتم ايضا انه كان حيث كان بالمدينة غنيا موسرا ، ورويتم عن عائشة انها قالت هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم ، وقلتم إن الله تعالى انزل فيه (ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا اولى القربى) (1) ، قلتم هي في ابى بكر ومسطح بن اثاثة ، فاين الفقر الذى زعمتم انه انفق حتى تخلل بالعباءة ورويتم إن لله تعالى في سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة وان النبي صلى الله عليه وآله رآهم ليلة الاسراء ، فسال جبرائيل عنهم فقال هؤلاء ملائكة تأسوا بابى بكر بن ابى قحافة صديقك في الارض ، فانه سينفق عليك ماله ، حتى يخلل عباءة في عنقه ، وانتم ايضا رويتم إن الله تعالى لما انزل آية النجوى ، فقال (يا ايها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم) (2) ، الاية لم يعمل بها الا على ابن ابى طالب وحده ، مع اقراركم بفقره وقلة ذات يده ، وابو بكر في الحال التى ذكرنا من السعة امسك عن مناجاته ، فعاتب الله المؤمنين في ذلك ، فقال (اشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) ، فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه ، وهو امساكهم عن تقديم الصدقة ، فكيف سخت نفسه بانفاق اربعين الفا وامسك عن مناجاة الرسول ، وانما كان يحتاج فيها الى اخراج درهمين .

---

(1) سورة النور 22 .

(2) سورة المجادلة 12 .

واما ما ذكر من كثره عياله ونفقته عليهم ، فليس في ذلك دليل على تفضيله ، لان نفقته على عياله واجبة ، مع أن ارباب السيرة ذكروا انه لم يكن ينفق على ابيه شيئا ، وانه كان اجيرا لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان .

قال الجاحظ وقد تعلمون ما كان يلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وآله ببطن مكة من المشركين ، وحسن صنيع كثير منهم ، كصنيع حمزة حين ضرب ابا جهل بقوسه ففلق هامته ، وابو جهل يومئذ سيد البطحاء ورئيس الكفر ، وامنع اهل مكة ، وقد عرفتم أن الزبير

سل سيفه ، واستقبل به المشركين ، لما ارجف أن محمدا صلى الله عليه وآله قد قتل ، وأن عمر بن الخطاب قال حين اسلم لا يعبد الله سرا بعد اليوم ، وان سعدا ضرب بعض المشركين بلحى جمل ، فاراق دمه ، فكل هذه الفضائل لم يكن لعلى بن ابي طالب فيها ناقة ولا جمل ، وقد قال الله تعالى (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) (1) ، فإذا كان الله تعالى قد فضل من انفق قبل الفتح ، لانه لا هجرة بعد الفتح ، على من انفق بعد الفتح ، فما ظنكم بمن انفق من قبل الهجرة ، ومن لدن مبعث النبي صلى الله عليه وآله الى الهجرة والى بعد الهجره (2) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم ، ولسنا كالامامية الذين يحملهم الهوى على جحد الامور المعلومة ، ولكننا ننكر تفضيل احد من الصحابة على على بن ابي طالب ، ولسنا ننكر غير ذلك ، وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية ، وقصده الى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والابطال واما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ، ومقام جليل ، وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واما فضل عمر فغير منكر وكذلك الزبير وسعد ، وليس فيما ذكر ما يقتضى كون على عليه السلام مفضولا لهم أو لغيرهم ، الا قوله (وكل هذه الفضائل لم يكن لعلى عليه السلام فيها ناقة ولا جمل) ، فان هذا من

---

(1) سورة الحديد 20.

(2) العثمانية 37 ، مع تصرف واختصار.

التعصب البارد ، والحيف الفاحش ، وقد قدمنا من آثار على عليه السلام قبل الهجرة وما له إذ ذاك من المناقب والخصائص ، ما هو افضل واعظم واشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء ، على أن ارباب السيرة يقولون إن الشجة التى شجها سعد ، وان السيف الذى سله الزبير ، هو الذى جلب الحصار في الشعب على النبي صلى الله عليه وآله وبنى هاشم ، وهو الذى سير جعفرا واصحابه الى الحبشة ، وسل السيف في الوقت الذى لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز ، قال تعالى (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله) (1) ، فتبين أن التكليف له اوقات ، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف ، وايضا فان الله تعالى لم يذكر انفاق المال مفردا ، وانما قرن به القتال ، ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب ، فلا تشمله الاية ، وكان على عليه السلام صاحب قتال وانفاق قبل الفتح ، اما قتاله فمعلوم بالضرورة ، واما انفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره ، وهو الذى اطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ، وانزلت فيه وفى زوجته وابنيه سورة (2) كاملة من القرآن ، وهو الذى ملك اربعة دراهم فاخرج منها درهما سرا ودرهما علانية ليلا ، ثم اخرج منها في النهار درهما سرا ودرهما علانية ، فانزل فيه قوله تعالى (الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) (3) ، وهو الذى قدم بين يدى نجواه صدقة دون المسلمين كافة ، وهو الذى تصدق بخاتمه وهو راكع ، فانزل الله فيه (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (4) .

قال الجاحظ والحجة العظمى للقائلين بتفضيل على عليه السلام قتله الاقران ، وخوضه الحرب ، وليس له في ذلك كبير فضيلة ، لان كثرة القتل والمشى بالسيف الى الاقران ، لو كان من اشد

---

(1) سورة النساء 77 .

(2) زعم بعض غلاة الشيعة ، انه انزلت فيهم سورة مختلفة ، وانظر فصل الخطاب لحسين بن محمد الطبرسي 156 ، وحواشي ملحق العثمانية 319 .

(3) سورة البقرة 247 .

(4) سورة المائدة 55 .

المحن واعظم الفضائل ، وكان دليلا على الرياسة والتقدم ، لوجب أن يكون للزبير وابى دجانة ومحمد بن مسلمة ، وابن عفراء ، والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لانه لم يقتل بيده الا رجلا واحدا ولم يحضر الحرب يوم بدر ، ولا خالط الصفوف وانما كان معتزلا عنهم في العريش ومعه أبو بكر، وانت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الاقران ، ويجندل الابطال ، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز ، وهو الرئيس أو ذوى الراى ، والمستشير في الحرب ، لان للرؤساء من الاكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم ، ولان الرئيس هو المخصوص بالمطالبة ، وعليه مدار الامور ، وبه يستبصر المقاتل ، ويستنصر ، وباسمه ينهزم العدو ، ولو لم يكن له الا أن الجيش لو ثبت وفر هو لم يغن ثبوت الجيش كله ، وكانت الدبرة عليه ، ولو ضيع القوم جميعا وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له ، ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة الا إليه ، ففضل ابى بكر بمقامه في العريش مع رسول الله يوم بدر اعظم من جهاد على عليه السلام ذلك اليوم ، وقتله ابطال قريش .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله لقد اعطى أبو عثمان مقولا وحرم معقولا ، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجد ، ولم يذهب به مذهب اللعب والهزل ، أو على طريق التفاصح والتشادق واظهار القوة ، والسلاطة وذلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم ، الم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان اشجع البشر ، وانه خاض الحروب ، وثبت في المواقف التى طاشت فيها الالباب ، وبلغت القلوب الحناجر ، فمنها يوم احد ، ووقوفه بعد أن فر المسلمون باجمعهم ، ولم يبق معه الا اربعة على والزبير ، وطلحة ، وابو دجانة ، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره ، فامر عكاشة بن محصن أن يوترها ، فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر ، فقال اوتر ما بلغ قال عكاشة فو الذى بعثه بالحق لقد اوترت حتى بلغ ، وطويت منه شبرا على سية القوس ، ثم اخذها فما زال يرميهم ، حتى نظرت الى قوسه قد تحطمت وبارز ابى بن خلف ، فقال له اصحابه إن شئت عطف عليه بعضنا فابى ، وتناول الحربه من الحارث بن الصمة ثم انتقض باصحابه ، كما ينتقض البعير ، قالوا فتطايرنا عنه تطاير الشعارير (1) ، فطعنه بالحربة ، فجعل يخور كما يخور

(1) الشعارير : ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان ، فإذا هيجت تطايرت عنها .

الثور ، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم اصحابه وتركوه الا قوله تعالى (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم) (2) ، فكونه عليه السلام في اخراهم وهم يصعدون ولا يلوون ، هاربين ، دليل على انه ثبت ولم يفر ، وثبت يوم حنين في تسعة من اهله ورهطه الادنين ، وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به والعباس آخذ بحكمة بغلته ، وعلى بين يديه مصلت سيفه ، والباقون حول بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله يمنة ويسرة ، وقد انهزم المهاجرون والانصار ، وكلما فروا اقدم هو صلى الله عليه وآله وصمم مستقدما ، يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره ، ثم اخذ كفا من البطحاء ، وحصب المشركين ، وقال شاهت الوجوه والخبر المشهور عن على عليه السلام ، وهو اشجع البشر (كنا إذا اشتد الباس ، وحمى الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله ولذنا به) ، فكيف يقول الجاحظ انه ما خاض الحرب ، ولا خالط الصفوف واى فرية اعظم من فرية من نسب رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاحجام واعتزال الحرب ثم أي مناسبة بين ابى بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى ليقيسه وينسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله صاحب الجيش والدعوة ، ورئيس الاسلام والملة ، والملحوظ بين اصحابه واعدائه بالسيادة ، واليه الايماء والاشارة ، وهو الذى احنق قريشا والعرب ، وروى اكبادهم بالبراءة من الهتهم ، وعيب دينهم وتضليل اسلافهم ، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم واكابرهم وحق لمثله إذا تنحى عن الحرب واعتزلها أن يتنحى ويعتزل ، لان ذلك شان الملوك والرؤساء ، إذا كان الجيش منوطا بهم وببقائهم ، فمتى هلك الملك هلك الجيش ، ومتى سلم الملك امكن أن يبقى عليه ملكه ، وان عطب جيشه فانه يستجد جيشا آخر ، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه ، وخطئوا الاسكندر لما بارز قوسرا ملك الهند ، ونسبوه الى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم ، فليقل لنا الجاحظ أي مدخل لابي بكر في هذا المعنى ومن الذى كان يعرفه من اعداء الاسلام ليقصده بالقتل وهل هو الا واحد من عرض المهاجرين ، حكمه حكم عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان ، وغيرهما بل كان عثمان اكثر منه صيتا ، واشرف منه مركبا ، والعيون إليه اطمح ، والعدو إليه احنق واكلب، ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك،

---

(2) سورة آل عمران **151** .

هل كان يؤثر قتله في الاسلام ضعفا ، أو يحدث فيه وهنا أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب أن تندرس وتعفى آثارها ، وينطمس منارها ليقول الجاحظ أن ابا بكر كان حكمه حكم رسول الله صلى الله عليه وآله في مجانبة الحروب واعتزالها ، نعوذ بالله من الخذلان وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة ، وبالاثار والاخبار ممارسة ، حال حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كيف كانت ، وحاله عليه السلام فيها كيف كان ، ووقوفه حيث وقف ، وحربه حيث حارب ، وجلوسه في العريش يوم جلس ، وان وقوفه صلى الله عليه وآله وقوف رياسة وتدبير ، ووقوف ظهر وسند ، يتعرف امور اصحابه ، ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم ، وتخلفه عن التقدم في اوائلهم ، لانهم متى علموا انه في اخراهم اطمانت قلوبهم ، ولم تتعلق بامره نفوسهم ، فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم ، ولا يكون لهم فئه يلجئون إليها ، وظهر يرجعون إليه ، ويعلمون انه متى كان خلفهم تفقد امورهم ، وعلم مواقفهم ، وآوى كل انسان مكانه في الحماية والنكاية وعند المنازلة في الكر والحملة ، فكان وقوفه حيث وقف اصلح لامرهم ، واحمى واحرس لبيضتهم ، ولانه المطلوب من بينهم ، إذ هو مدبر امورهم ، ووالي جماعتهم ، الا ترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف ، وان صلاح الحرب في وقوفه ، وان فضيلته في ترك التقدم في اكثر حالاته ، فللرئيس حالات : الاولى حالة يتخلف ويقف آخرا ليكون سندا وقوة ، وردءا وعدة ، وليتولى تدبير الحرب ، ويعرف مواضع الخلل .

والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوى الضعيف ، ويشجع الناكص (1) .

وحالة ثالثة وهى إذا اصطدم الفيلقان ، وتكافح السيفان ، اعتمد ما تقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح ، أو من مباشرة الحرب بنفسه ، فانها آخر المنازل ، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد ، وفسالة الجبان المموه .

فاين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله صلى الله عليه وآله واين منزله ابي بكر ليسوى بين المنزلتين ، ويناسب بين الحالتين .

---

(1) ب : (الناكس) .

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة ، وممنوحا من الله بفضيلة النبوة ، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمدا صلى الله عليه وآله ، وكان يدبر من امر الاسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا ، وقتل الاعداء ، ما يدبره محمد صلى الله عليه وآله ، لكان للجاحظ أن يقول ذلك ، فاما وحاله حاله ، وهو اضعف المسلمين جنانا ، واقلهم عند العرب ترة ، لم يرم قط بسهم ، ولا سل سيفا ، ولا اراق دما ، وهو احد الاتباع ، غير مشهور ولا معروف ، ولا طالب ولا مطلوب ، فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله صلى الله عليه وآله ومنزلته ولقد خرج ابنه عبد الرحمن مع المشركين يوم احد فرآه أبو بكر ، فقام مغيظا عليه ، فسل من السيف مقدار اصبع ، يريد البروز إليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله (يا ابا بكر ، شم سيفك (1) وامتعنا بنفسك) ، ولم يقل له (وامتعنا بنفسك) الا لعلمه بانه ليس اهلا للحرب وملاقاة الرجال ، وانه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ لا فضيلة لمباشره الحرب ، ولقاء الاقران ، وقتل ابطال الشرك وهل قامت عمد الاسلام الا على ذلك وهل ثبت الدين واستقر الا بذلك اتراه لم يسمع قول الله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) (2) والمحبة من الله تعالى هي ارادة الثواب ، فكل من كان اشد ثبوتا في هذا الصف ، واعظم قتالا ، كان احب الى الله ، ومعنى الافضل هو الاكثر ثوابا ، فعلى عليه السلام إذا هو احب المسلمين الى الله ، لانه اثبتهم قدما في الصف المرصوص ، لم يفر قط باجماع الامة ، ولا بارزه قرن الا قتله .

---

(1) شم سيفك ، اي اغمده وهو من الاضداد .

(2) سورة الصف 4 .

اتراه لم يسمع قول الله تعالى (وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما) (3) وقوله (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) (4) ثم قال سبحانه مؤكدا لهذا البيع والشراء (ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (5) ، وقال الله تعالى (ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح) (6) .

فمواقف الناس في الجهاد على احوال ، وبعضهم في ذلك افضل من بعض ، فمن دلف الى الاقران، واستقبل السيوف والاسنة ، كان اثقل على اكتاف الاعداء ، لشدة نكايته فيهم ، ممن وقف في المعركة ، واعان ولم يقدم ، وكذلك من وقف في المعركة ، واعان ولم يقدم ، الا انه بحيث تناله السهام والنبل اعظم غناء ، وافضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك ، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقله بسط الكف وترك الحرب ، وان ذلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله ، لكان اوفر الناس حظا في الرياسة ، واشدهم لها استحقاقا حسان بن ثابت ، وان بطل فضل على عليه السلام في الجهاد ، لان النبي صلى الله عليه وآله كان اقلهم قتالا ، كما زعم الجاحظ ليبطلن على هذا القياس فضل ابى بكر في الانفاق ، لان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اقلهم مالا .

اعلى من ينصره في الباس والقوة والشجاعة والنجدة والاقدام والبسالة الا ترى الى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر ، وقد خرج هو واخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ، فاخرج إليه الرسول نفرا من الانصار ، فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا الى قومكم ثم نادوا يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قومنا ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وانت إذا تأملت امر العرب وقريش

---

(3) سورة النساء 95 .

(4) سورة التوبة 111 .

(5) سورة التوبة 111 .

(6) سورة التوبة 120 .

ونظرت السير ، وقرات الاخبار ، عرفت انها كانت تطلب محمدا صلى الله عليه وآله وتقصد قصده ، وتروم قتله ، فان اعجزها وفاتها طلبت عليا عليه السلام ، وارادت قتله ، لانه كان اشبههم بالرسول حالا ، واقربهم منه قربا ، واشدهم عنه دفعا ، وانهم متى قصدوا عليا فقتلوه اضعفوا امر محمد صلى الله عليه وآله وكسروا شوكته ، إذ كان

لاهله الادنين قوموا يا بنى هاشم ، فانصروا حقكم الذى آتاكم الله على باطل هؤلاء قم يا على ، قم يا حمزة ، قم يا عبيدة ، الا ترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم احد ، لانه اشترك هو وحمزة في قتل ابيها يوم بدر ، الم تسمع قول هند ترثى اهلها : ما كان عن عتبة لى من صبر ابى وعمى وشقيق صدري اخى الذى كان كضوء البدر بهم كسرت يا على ظهرى .

وذلك لانه قتل اخاها الوليد بن عتبة ، وشرك في قتل ابيها عتبة ، واما عمها شيبة ، فان حمزة تفرد بقتله .

وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم احد إن قتلت محمدا فانت حر ، وإن قتلت عليا فانت حر ، وإن قتلت حمزة فانت حر فقال اما محمد فسيمنعه اصحابه ، واما على فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ، ولكني ساقتل حمزة ، فقعد له وزرقه بالحربة فقتله .

ولما قلنا من مقاربة حال على عليه السلام في هذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله ومناسبتها اياها ما وجدناه في السير والاخبار ، من اشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه ، ودعائه له بالحفظ والسلامة ، قال صلى الله عليه وآله يوم الخندق ، وقد برز على الى عمرو ، ورفع يديه الى السماء بمحضر من اصحابه (اللهم انك اخذت منى حمزة يوم احد ، وعبيدة يوم بدر ، فاحفظ اليوم على عليا (رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين) (1) ، ولذلك ضن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس الى نفسه مرارا ، في كلها يحجمون ويقدم على ، فيسأل الاذن له في البراز حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله (انه عمرو) ، فقال (وانا على) ، فادناه وقبله وعممه بعمامته ، وخرج معه خطوات كالمودع له ، القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه ، ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعا يديه الى السماء ، مستقبلا لها بوجهه ،

---

(1) سورة الانبياء 89 .

والمسلمون صموت حوله ، كانما على رؤوسهم الطير ، حتى ثارت الغبرة ، وسمعوا التكبير من تحتها ، فعلموا أن عليا قتل عمرا ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين ، ولذلك قال حذيفة بن اليمان لو قسمت فضيلة على عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين باجمعهم لوسعتهم وقال ابن عباس في قوله تعالى (وكفى الله المؤمنين القتال) (2) قال بعلى بن ابي طالب .

قال الجاحظ على أن مشى الشجاع بالسيف الى الاقران ، ليس على ما توهمه من لا يعلم باطن الامر ، لان معه في حال مشيه الى الاقران بالسيف امورا اخرى لا يبصرها الناس ، وانما يقضون على ظاهر ما يرون من اقدامه وشجاعته ، فربما كان سبب ذلك الهوج ، وربما كان الغرارة والحداثة ، وربما كان الاحراج والحمية ، وربما كان لمحبة النفخ والاحدوثة ، وربما كان طباعا كطباع القاسي والرحيم والسخى والبخيل (3) قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال للجاحظ فعلى ايها كان مشى على بن ابي طالب الى الاقران بالسيف فايما قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله ، وان كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت ، وانما كان على وجه النصرة والقصد الى المسابقة الى ثواب الاخرة ، والجهاد في سبيل الله ، واعزاز الدين ، كنت بجميع ما قلت معاندا ، وعن سبيل الانصاف خارجا ، وفى امام المسلمين طاعنا ، وان تطرق مثل هذا الوهم على علي عليه السلام ليتطرقن مثله على اعيان المهاجرين والانصار ارباب الجهاد والقتال ، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله بانفسهم ووقوه بمهجهم ، وفدوه بابنائهم وآبائهم ، فلعل ذلك كان لعلة من العلل المذكورة ، وفى ذلك الطعن في الدين ، وفى جماعة المسلمين .

ولو جاز أن يتوهم هذا في على عليه السلام وفى غيره ، لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لاهل بدر (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ، ولا قال لعلى عليه السلام (برز الايمان كله الى الشرك كله) ، ولا قال (اوجب طلحة) (4) . وقد علمنا ضرورة من دين

---

(2) سورة الاحزاب 25 .

(3) العثمانية 47 ، مع تصرف واختصار .

(4) اوجب طلحة ، اي عمل عملا يدخله الجنة .

الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلى عليه السلام تعظيما دينيا ، لاجل جهاده ونصرته ، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ زعم انه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالى ، بل لامر آخر من الامور التى عددها ، وبعثه على التفوه بها اغواء الشيطان وكيده ، والافراط في عداوة من امر الله بمحبته ، ونهى عن بغضه وعداوته .

اترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفى عليه من امر على عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية فمدحه وهو غير مستحق للمدح .

قال الجاحظ فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة ، وفراره معصية ، لان نفسه معتدلة ، كالميزان في استقامة لسانه وكفتيه ، فإذا لم يكن كذلك كان اقدامه طباعا ، وفراره طباعا (1) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله فيقال له فلعل انفاق ابي بكر على ما تزعم اربعين الف درهم لا ثواب له ، لان نفسه ربما تكون غير معتدلة ، لانه يكون مطبوعا على الجود والسخاء ، ولعل خروجه مع النبي صلى الله عليه وآله يوم الهجرة الى الغار لا ثواب له فيه ، لان اسبابه كانت له مهيجة ، ودواعيه غالبة ، محبة الخروج ، وبغض المقام ، ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله في دعائه الى الاسلام واكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل ، وتدبيره امر الامة لا ثواب له فيه ، لانه قد تكون نفسه غير معتدلة ، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها ، والعبادة والالتذاذ بها ، ولقد كنا نعجب من مذهب ابي عثمان أن المعارف ضرورة ، وانها تقع طباعا ، وفى قوله بالتولد وحركة الحجر بالطبع حتى رأينا من قوله ما هو اعجب منه ، فزعم انه ربما يكون جهاد على عليه السلام وقتله المشركين لا ثواب له فيه ، لانه فعله طبعا ، وهذا اطرف من قوله في المعرفة وفى التولد .

قال الجاحظ ووجه آخر أن عليا لو كان كما يزعم شيعته ، ما كان له بقتل الاقران كبير فضيلة ، ولا عظيم طاعة ، لانه قد روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال له (ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين) ، فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الاقران ، وعلم انه منصور عليهم وقاتلهم ، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير اعظم طاعة منه (2) .

---

(1) انظر العثمانية 47 ، 48 .

(2) انظر العثمانية 49 ، 50 .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله هذا راجع على الجاحظ في النبي صلى الله عليه وآله ، لان الله تعالى قال له (والله يعصمك من الناس) (3) ، فلم يكن له في جهاده كبير طاعة ، وكثير طاعة ، وكثير من الناس يروى عنه صلى الله عليه وآله (اقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر) فوجب أن يبطل جهادهما ، وقد قال للزبير (ستقاتل عليا ، وانت ظالم له) ، فاشعره بذلك انه لا يموت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال في الكتاب العزيز لطلحة (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده) ، قالوا نزلت في طلحة ، فاعلمه بذلك انه يبقى بعده ، فوجب الا يكون لهما كبير ثواب في الجهاد ، والذى صح عندنا من الخبر وهو قوله (ستقاتل بعدى الناكثين) ، انه قال لما وضعت الحرب اوزارها ، ودخل الناس في دين الله افواجا ، ووضعت الجزية ، ودانت العرب قاطبة .

قال الجاحظ ثم قصد الناصرون لعلى ، والقائلون بتفضيله الى الاقران الذين قتلهم فاطروهم وغلوا فيهم ، وليسوا هناك فمنهم عمرو بن عبد ود تركتموه اشجع من عامر ابن الطفيل وعتبة بن الحارث وبسطام بن قيس ، وقد سمعنا باحاديث حروب الفجار وما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول ، فما سمعت لعمرو بن عبد ود ذكرا في ذلك (4) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله امر عمرو بن عبد ود اشهرو اكثر من أن يحتج له ، فلنتلمح كتب المغازى والسير ، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل ، فمن ذلك ما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه ، قال وقال مسافع بن عبد مناف بن زهره بن حذافة بن جمح يبكى عمرو بن عبد الله بن عبد ود حين قتله على بن ابى طالب عليه السلام مبارزة لما جزع المذاد (5) أي قطع الخندق .

---

(3) سورة المائدة 67.

(4) انظر العثمانية 49 ، 50.

(1) المذاد ، بالذال المعجمة : موضع بالمدينة حيث حفر الخندق ، وفي ط : (المزار) تصحيف ، وجزع ، اي قطع .

عمرو بن عبد كان اول فارس جزع المذاد وكان فارس مليل (1) سمح الخلائق ماجد ذو مرة يبغى القتال بشكة لم ينكل (2) ولقد علمتم حين ولوا عنكم أن ابن عبد منهم لم يعجل (3) حتى تكنفه الكماة وكلهم يبغى القتال له وليس بمؤتل (4) ولقد تكنفت الفوارس فارسا بجنوب سلع غير نكس اميل (5) سال النزال هناك فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل فاذهب علي ما ظفرت بمثلها فخرا ولو لاقيت مثل المعضل (6) نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل (7) اعني الذى جزع المذاد ولم يكن فشلا وليس لدى الحروب بزمل (8) .

وقال هبيرة بن ابى وهب المخزومى ، يعتذر من فراره عن على بن ابى طالب ، وتركه عمرا يوم الخندق ويبكيه : لعمرك ما وليت ظهرى محمدا واصحابه جبنا ولا خيفة القتل (9) ولكننى قلبت امرى فلم اجد لسيفى غناء إن وقفت ولا نبلى وقفت فلما لم اجد لى مقدما صدرت كضرغام هزبر الى شبل (10) ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد مجالا (11)

---

(1) مليل ، واد ببدر .

(2) المرة : القوة ، والشكة : السلاح .

(3) ابن هشام : (فيهم) .

(4) تكنفه الكماة : احاطوا به والتفوا حوله . / وليس بمؤتل اي ليس بمقصر .

(5) سلع : جبل بالمدينة .

والنكس : الدنئ من الرجال .

والاميل : الذي لا رمح معه .

(6) المعضل : الامر الشديد .

(7) لم يتحلحل : لم يبرح مكانه .

(8) الزمل : الضعيف الجبان .

(9) سيرة ابن هشام **3** : **301** ، **302** .

(10) مقدما ، اي لم اجد من يقدمني .

وصدرت : اي رجعت .

الضرغام : الاسد .

الهزبر : الشديد : والشبل : ابن الاسد .

(11) ابن هشام : (لم يجد مكرا) .

وكان الحزم والراى من فعلى فلا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا فقد مت محمود الثنا ماجد الفعل (12) ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا فقد كنت في حرب العدا مرهف النصل فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا وللبذل يوما عند قرقرة البزل (13) هنالك لو كان ابن عمرو لزارها وفرجها عنهم فتى غير ما وغل كفتك على لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل (14) فما ظفرت كفاك يوما بمثلها امنت بها ما عشت من زلة النعل .

وقال هبيرة بن ابي وهب ايضا ، يرثى عمرا ويبكيه : لقد علمت عليا لؤى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب (15) وفارسها عمرو إذا ما يسوقه على وان الموت لا شك طالب (14) عشية يدعوه على و انه لفارسها إذ خام عنه الكتائب (17)

فيا لهف نفسي إن عمرا لكائن بيثرب لا زالت هناك المصائب لقد احرز العليا على بقتله وللخير يوما لا محالة جالب .

وقال حسان بن ثابت الانصاري يذكر عمرا : امسى الفتى عمرو بن عبد ناظرا كيف العبور وليته لم ينظر (18) ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جيادنا لم تقصر (19) ولقد لقيت غداة بدر عصبة ضربوك ضربا غير ضرب الحسر اصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم امر منكر (21) .

---

(12) الثنا : الذكر الطيب . والماجد : الشريف .

(13) تقدع : تكف .

والقرقرة : اصوات فحول الابل .

والبزل : جمع بازل وهو في الاصل البعير الذي فطر نابه ، وذلك زمان اكتمال قوته .

(14) ابن هشام : (فعنك علي) .

(15) إذا ناب نائب ، اي إذا عرض اي مكروه .

(16) ابن هشام : (لفرسها عمرو إذا ما يسومه) .

(17) خام : جبن ورجع هيبة وخوفا .

(18) رواية البيت في ابن هشام : امسى الفتى بن عمرو بن عبيد يبتغي بجنوب يثرب ثأره لم ينظر .

(19) مشهورة اي قد شهرها اصحابها .

ولم تقصر : لم تكف وتحبس عن التجوال . (20) فال ابن هشام : (وبعض اهل العلم بالشعر ينكرها لحسان) .

وقال حسان ايضا : لقد شقيت بنو جمح بن عمرو ومخزوم وتيم ما نقيل وعمرو كالحسام فتى قريش كان جبينه سيف صقيل فتى من نسل عامر اريحى تطاوله الاسنة والنصول دعاه الفارس المقدام لما تكشفت المقانب والخيول أبو حسن فقنعه حساما جرازا لا افل ولا نكول فغادره مكبا مسلحبا على عفراء لا بعد القتيل .

فهذه الاشعار فيه بل بعض ما قيل فيه (1) .

واما الاثار والاخبار ، فموجوده في كتب السير وايام الفرسان ووقائعهم ، وليس احد من ارباب هذا العلم يذكر عمرا الا قال كان فارس قريش وشجاعها ، وانما قال له حسان * ولقد لقيت غداة بدر عصبة * لانه شهد مع المشركين بدرا ، وقتل قوما من المسلمين ثم فر مع من فر ، ولحق بمكة ، وهو الذى كان قال وعاهد الله عند الكعبة الا يدعوه احد الى واحدة من ثلاث الا اجابة وآثاره في ايام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الايام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتبة وبسطام وعامر ، لانهم كانوا اصحاب غارات ونهب ، واهل بادية ، وقريش اهل مدينة وساكنوا مدر وحجر ، لا يرون الغارات ، ولا ينهبون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء.

ويقال له إذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك ، فما باله لما جزع الخندق في (2) ستة فرسان هو احدهم ، فصار مع اصحاب النبي صلى الله عليه وآله على ارض واحدة ، وهم ثلاثة آلاف ، ودعاهم الى البراز مرارا لم ينتدب احد منهم للخروج إليه ، ولا سمح منهم احد بنفسه ، حتى وبخهم وقرعهم ، وناداهم الستم تزعمون انه من قتل منا فالى النار ، ومن قتل منكم فالى الجنة افلا يشتاق احدكم الى أن يذهب الى الجنة ، أو يقدم عدوه الى النار فجبنوا كلهم ونكلوا ، وملكهم الرعب والوهل ، فاما أن يكون هذا اشجع الناس كما قيل عنه ، أو يكون المسلمون كلهم اجبن العرب واذلهم وافشلهم وقد روى الناس كلهم الشعر الذى

(**1**) سيرة ابن هشام **3** : **298** – **304** (نشرة المكتبة التجارية) (*)

(**2**) جزع الخندق ، اي عبره .

انشده لما نكل القوم بجمعهم عنه ، وانه جال بفرسه واستدار وذهب يمنة ، ثم ذهب يسرة ، ثم وقف تجاه القوم ، فقال ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز ووقفت إذ جبن المشيع وقفة القرن المناجز وكذاك انى لم ازل متسرعا نحو الهزاهز إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز .

فلما برز إليه على اجابه ، فقال له : لا تعجلن فقد اتاك مجيب صوتك غير عاجز ذو نية وبصيرة يرجو الغداة نجاة فائز انى لارجو أن اقيم عليك نائحة الجنائز من ضربة تفنى ويبقى ذكرها عند الهزاهز .

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الانصار ، لما رجع رسول الله من بدر ، وقال فتى من الانصار شهد معه بدرا إن قتلنا الا عجائز صلعا فقال له النبي صلى الله عليه وآله (لا تقل ذلك يا بن اخ ، اولئك الملا) .

قال الجاحظ وقد اكثروا في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر ، وما علمنا الوليد حضر حربا قط قبلها ، ولا ذكر فيها (1) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله كل من دون اخبار قريش وآثار رجالها ، وصف الوليد بالشجاعة والبسالة ، وكان مع شجاعته انه يصارع الفتيان فيصرعهم ، وليس لانه لم يشهد حربا قبلها ما يجب أن يكون بطلا شجاعا ، فان عليا عليه السلام لم يشهد قبل بدر حربا ، وقد راى الناس آثاره فيها.

قال الجاحظ وقد ثبت أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وآله يوم احد ، كما ثبت على فلا فخر لاحدهما على صاحبه في ذلك اليوم .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما ثباته يوم احد فاكثر المؤرخين وارباب السير ينكرونه ، وجمهورهم يروى انه لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله الا على وطلحة والزبير ، وابو دجانة ، وقد روى عن ابن عباس انه قال ولهم خامس وهو عبد الله بن مسعود ، ومنهم من اثبت سادسا ، وهو المقداد بن عمرو ، وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال قلت لابي كم ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد فقال اثنان ، قلت من هما قال على وابو دجانة .

---

(1) العثمانية 59 .

وهب أن ابا بكر ثبت يوم احد كما يدعيه الجاحظ ، ايجوز له أن يقول ثبت كما ثبت على ، فلا فخر لاحدهما على الاخر ، وهو يعلم آثار على عليه السلام ذلك اليوم ، وانه قتل اصحاب الالوية من بنى عبد الدار ، منهم طلحة بن ابى طلحة ، الذى راى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه انه مردف كبشا ، فاوله وقال كبش الكتيبة نقتله .

فلما قتله على عليه السلام مبارزة - وهو اول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم - كبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال (هذا كبش الكتيبة) .

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد فر الناس واسلموه ، فتصمد له كتيبة من قريش ، فيقول (يا على ، اكفني هذه) فيحمل عليها فيهزمها ، ويقتل عميدها ، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتا من قبل السماء .

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على وحتى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال .

اتكون هذه آثاره وافعاله ، ثم يقول الجاحظ لا فخر لاحدهما على صاحبه .

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) (1) .

قال الجاحظ ولابي بكر في ذلك اليوم مقام مشهور ، خرج ابنه عبد الرحمن فارسا مكفرا (2) في الحديد ، يسال المبارزة ، ويقول انا عبد الرحمن بن عتيق فنهض إليه أبو بكر يسعى بسيفه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله (شم سيفك وارجع الى مكانك ، ومتعنا بنفسك (3)) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله ما كان اغناك يا ابا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لابي بكر ، فانه لو تسمعه الامامية لاضافته الى ما عندها من المثالب ، لان قول النبي صلى الله عليه وآله (ارجع) دليل على انه لا يحتمل مبارزة احد ، لانه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه ، وانت تعلم حنو الابن على الاب وتبجيله له ، واشفاقه عليه وكفه عنه ، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي .

---

(1) سورة الاعراف 89 .

(2) اي مستترا .

(3) العثمانية 62 .

وقوله له (ومتعنا بنفسك) ، ايذان له بانه كان يقتل لو خرج ، ورسول الله كان اعرف به من الجاحظ ، فاين حال هذا الرجل من حال الرجل الذى صلى بالحرب ، ومشى الى السيف بالسيف ، فقتل السادة والقادة والفرسان والرجالة .

قال الجاحظ على أن ابا بكر - وان لم تكن آثاره في الحرب كاثار غيره - فقد بذل الجهد ، وفعل ما يستطيعه وتبلغه قوته ، وإذا بذل المجهود فلا حال اشرف من حاله (4) .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله اما قوله انه بذل الجهد ، فقد صدق ، واما قوله (لا حال اشرف من حاله) ، فخطا ، لان حال من بلغت قوته فاعملها في قتل المشركين اشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية ، الا ترى أن حال الرجل اشرف في الجهاد من حال المراة ، وحال البالغ الايد اشرف من حال الصبى الضعيف .

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي رحمه الله في نقض العثمانية ، اقتصرنا عليها هاهنا ، وسنعود فيما بعد الى ذكر جملة اخرى من كلامه ، إذا اقتضت الحال ذكره *

(هامش) (1) قام الاستاذ عبد السلام هارون بطبع كتاب العثمانية ، طبعة علمية محققة ، والحق بها ما عثر عليه من نقضها للاسكافي وطبعت في دار الكتاب العربي سنة 1955 .

قال بن أبي الحديد: قد عاتبت العثمانية وقالت : إن أبا بكر مات ولم يخلف دينارا ولا درهما ، وإن عليا عليه السلام مات وخلف عقارا كثيرا - يعنون نخلا - قيل لهم : قد علم كل أحد أن عليا عليه السلام استخرج عيونا بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة ، وأحيا بها مواتا كثيرا ، ثم أخرجها عن ملكه ، وتصدق بها على المسلمين ، ولم يمت وشئ منها في ملكه ، أ لا ترى إلى ما تتضمنه كتب السير والاخبار من منازعة زيد بن على وعبد الله بن الحسن في صدقات على عليه السلام ، ولم يورث على عليه السلام بنيه قليلا من المال ولا كثيرا إلا عبيده وإماءه وسبعمائه درهم من عطائه ، تركها ليشترى بها خادما لاهله قيمتها ثمانية وعشرون دينارا ، على حسب المائة أربعة دنانير ، وهكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك ، وإنما لم يترك أبو بكر قليلا ولا كثيرا لانه ما عاش ، ولو عاش لترك ، ألا ترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم ، ودفعها إليها ! وذلك لان هؤلاء طالت أعمارهم ، فمنهم من

---

(4) العثمانية 62 .

درت عليه أخلاف التجارة ، ومنهم من كان يستعمر الارض ويزرعها ، ومنهم من استفضل من رزقه من الفئ (1) .

وفضلهم أمير المؤمنين عليه السلام بأنه كان يعمل بيده ، ويحرث الارض ويستقى الماء ويغرس النخل ، كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة ، ولم يستبق منه لوقته ولا لعقبه قليلا ولا كثيرا ، وإنما كان صدقة ، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وله ضياع كثيرة جليلة جدا بخيبر وفدك وبني النضير ، وكان له وادي نخلة ، وضياع أخرى كثيرة بالطائف ، فصارت بعد موته صدقه بالخبر الذى رواه أبو بكر .

فإن كان علي عليه السلام معيبا بضياعه ونخله فكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهذا كفر وإلحاد ! وإن كان رسول الله صلى الله عليه وآله إنما ترك ذلك صدقة فرسول الله صلى الله عليه وآله ما روى عنه الخبر في ذلك إلا واحد من المسلمين ، وعلي عليه السلام كان في حياته قد أثبت عند جميع المسلمين بالمدينة إنها صدقة فالتهمة إليه في هذا الباب أبعد .

كان أبو جعفر فاضلا عالما ، وصنف سبعين كتابا في علم الكلام .

وهو الذى نقض كتاب " العثمانية " على أبي عثمان الجاحظ في حياته ، ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد ، فقال من هذا الغلام السوادى الذى بلغني أنه تعرض لنقض كتابي ! وأبو جعفر جالس ! فاختفى منه حتى لم يره .

[وكان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعده معتزلة بغداد ، ويبالغ في ذلك ، وكان علوى الرأى محققا منصفا ، قليل العصبية. (2)

---

(1) الفيء : الغنيمة .

(2) شرح نهج البلاغة ج17 ص 133

تم الكتاب بفضل الله ولطفه وعونه، على الساعة 9:00 ليلا ، 2020/04/10/ الجزائر/ ولاية غرداية، في غرفتي وسط حالة من الهلع في العالم بسبب فيروس كورونا !

قالت: فمـا اخـترت مـن ديـن تفـوز به   فقلـت: إنـــني شـيعـي ومعــتزلـــي

[الصــاحب بن عبــاد]